٢١٤

HARLEQUIN®

روايات احلام

العسل المر

لي ويلكنسون

www.elromancia.com
مرمورية

العسل المر

- إن أخلاقك لا تعجبني ولكنك تملكين الشكل الحسن والعقل الذكي وهما ما أبحث عنه في امرأة!

يا لها من طريقة رومانسية لطلب الزواج! ولكن ميّا لم تتوقع كلاماً معسولاً من رجل تعرف أنه يحتقرها، فبعدما تخلى عنها خطيبها طوت صفحة الحب إلى غير رجعة...

وهكذا وافقت على الزواج بثاندر!

ولكن لا يمكن لزواج قائم على الاحتقار وعدم الثقة أن يحيا!... وعندما تتسلل أحاسيس أخرى إلى قلب ميّا، تجد نفسها أمام قرار: إما أن ترحل أو تبقى لتواجه المزيد من الإذلال!

لي ويلكنسون

تعيش لي ويلكنسون مع زوجها في منزل ريفي مشيد من الحجر، يعود تاريخ بنائه إلى ثلاثماية سنة خلت، في قرية (ديربيشير)، التي غالباً ما تعزلها الثلوج شتاء. يتمتعان معاً بالسفر ومؤخراً قاما بالتعاون مع ابنتهما وصهرهما برحلة حول العالم دامت سنة كاملة دون انقطاع. من هواياتها القراءة والاهتمام بالحديقة وإقامة حفلات الشواء المفاجئة لعائلتها وأصدقائها.

١ ـ عناق خاطىء

كانت حفلة عيد الميلاد رودا في أوجها عندما وصلت ميا إلى رايبوزنز. وبعد أن شكرت مايكل برنت، مدير التصدير في رايفيلد، وزوجته سو اللذين أقلاّها إلى الحفل توجهت إلى قاعة الرقص.

كانت ترتدي ثوباً رمادياً من الشيفون، انسدل على مفاتن جسمها، وراح يصدر حفيفاً كلما تحركت ولامس قماشه الحريري ساقيها المشوقتين. كما انتعلت صندلاً رمادياً، وحملت حقيبة يد صغيرة، ذات سلسلة ذهبية، تتماشى والزنار الذي اختارته كزينة وحيدة لها.

شقّت ميا، بطولها الفارغ، وقامتها الهيفاء، وشعرها الأشقر، طريقها برشاقة طبيعية، وبسهولة بين الجموع الضاحكة المتسامرة. وراحت تتبادل الحديث باقتضاب، هنا، وهناك، مع أناس تعرفهم.

أخفى مظهرها الخارجي الباسم واللامبالي، توترها وانفعالها الداخليين. اذ ودّت ألاّ تحضر الليلة في الظروف الراهنة، وأملت أن تنتهي الحفلة، ليصبح فيليب حرّاً.

وكان لترددها وخوفها سبب آخر. فلا شك أن ثاندر دايفسون، سيكون موجوداً في الحفل، وكم كانت تتمنى لو أن قريب رودا بقي في هونغ كونغ، تفصله عنها مسافات شاسعة.

عندما علمت أنه يكبر رودا وأنه مصرفي ناجح، تخيّلته رجلاً في خريف العمر، مملاً، أصلع. إلاّ أنها أدركت خطأها بعد أن التقت به.

وعادت بالذاكرة إلى لقائهما الأول، حين دخل مكتبها للمرة الاولى. في ذاك الوقت، رفعت سكرتيرتها جانيت نظرها عن البريد الصباحي الذي

كانت تفضه وأخذت تحملق فيه، أما ميا فشعرت برعشة قوية تسري في عروقها وأحست بتنافر غريب بينهما.

كان طويل القامة، عريض المنكبين، وسيماً للغاية، ترتسم العجرفة على ملامحه. فوجدت نفسها تحدق في فمه، ذاك الفم الذي بعث القشعريرة في جسمها.

قررت للوهلة الأولى وبشكل غريزي أن تدع جانيت تتعامل مع هذا الغريب المقلق.

وكانت تركز على الأوراق الموضوعة أمامها حين رأت كفين يستندان إلى مكتبها، فرفعت عينيها مجفلة لتجد وجهه الأسمر الجذاب على بعد أنامل من وجهها. لفتتها بشرته المسمّرة وعينيه الخضراوين كالجاد تحت الحاجبين المقوّسين.

قال لها بهدوء، وبصوت أعلمها أنه يرفض تجاهله عمداً: «اسمي ثاندر دايفسون».

فرددت: «ثاندر دايفسون».

بدا لها كالفاتح المنتصر، أكثر منه كالمصرفي العجوز الممل. وفي تلك اللحظة، ظهر فيليب واعتذر له مطوّلاً لأنه جعله ينتظر. واثناء توجههما إلى المكتب الداخلي، استدار المصرفي وابتسم لميا ابتسامة صغيرة ساخرة.

عند كل مواجهة كان يتحدّاها، وهذا ما كان يحطّم هدوءها ويجعلها مشوشة مرتبكة... كان ذكياً جداً ومستبداً، وشديد الثقة بتأثيره في النساء، وهذا ما لا تستسيغه عند الرجال.

وهكذا في كل مرة التقيا، كانت تلمع في عينيه الخضراوين الباردتين شرارة، تشعل النار في كيانها وتذيبها. ولكم كرهت تأثيره الشديد فيها واستجابة جسمها له... لذا حاولت ميا جهدها تجنبه لانها ادركت تأثيره الواضح عليها.

ولكن حين حاولت اختلاق الاعذار لئلا تحضر الحفلة هذه الليلة، رفع والدها ناظريه عن اوراقه وقال لها باختصار:

ـ لا تكوني غبية يا فتاة، يجب أن تذهبي.

اضطربت ميا، فطباع أبيها الحادة قد تنفجر إذا ما غضب: ومنذ تعرّضه للنوبة القلبية الأخيرة، اصبحت تخشى أن يرتفع ضغط دمه بشكل خطير، إن هي عارضت قراره.

سمعته يضيف، حاسماً الأمر:

ـ كما أن رودا ستستاء إن لم تحضري.

كانت ميا تدرك أن عدم حضورها سيبعث في رودا احساساً بالراحة، فرغم لطف رودا الظاهري لم تكن تتوانى عن اظهار عدائها لميا في السر.

أجالت ميا نظرها في الحضور، آملة أن تقع عيناها على فيليب ليرمقها بنظرة مطمئنة. إلا أن آمالها خابت، ولم تعثر عليه.

وفيما كانت تتلفت حولها، رأت على مقربة منها عارضة الأزياء جاكلين ماي. وهي امرأة غاية في الأناقة، ذات عينين زرقاوين كالياقوت، وشعر أسود مجعّد وغالباً ما يزيّن وجهها الرائع غلاف مجلات الموضة الكبرى.

لطالما اعتبرت ميا نفسها امرأة عادية، بشعرها الأشقر، وعينيها الرماديتين، وسحنتها البيضاء الشاحبة. فابتعدت قليلاً عن تلك المرأة الفاتنة، وقد أحست وكأنها صورة باهتة علقت قرب لوحة رسام بارع.

وتحرك رجل سمين كان يحجب الرؤية عنها جزئياً فرأت إلى جوار عارضة الأزياء ثاندر دايفسون بلباس سهرة انيق.

راقبت ميا طوله الفارع وجاذبيته الساحرة وعاد ذاك الشعور الغريب يتملكها، وأحسّت بتلك الحاجة الماسة للابتعاد عنه والاختباء حتى يرحل ويزول الخطر.

وفجأة، ارتطمت بكوعها امرأة متأنقة، فكاد يقع عليها كوب العصير الذي تحمله في يدها. وقفت المرأة لتعتذر منها، فابتسمت ميا وطمأنتها:

ـ لا بأس، لم يحصل أيّ أذى.

كانت البسمة على شفتيها، حين رفعت عينيها فرأت نظرات ثاندر دايفسون البراقة مصوّبة إليها. شعرت بصدمة قوية وكأنها ارتطمت بزجاج

شفاف، وتسارعت دقات قلبها، فحادت بنظرها عنه، وحاولت أن تختفي بين الجموع.

رأت رودا، بشعرها الأصهب تقف بين ابيها ووالد ميا. فويليم رايبورن وجايمس فيلدينغ، صديقان قديمان وشريكان في العمل، وهما يملكان معاً شركة رايفيلد للأدوية.

كبتت ميا غصة في حلقها، حين رأت اباها يبتسم بتسامح لرودا. فمنذ نعومة أظافرها، وميا تسعى لإرضائه وكسب حبه واعجابه، لكنه كان يميل إلى ابنة ويليم ويفضّلها.

كان جو القاعة خانقاً. وأحست ميا بصداع خفيف بسبب الضغط المتزايد والموسيقى الصاخبة. وبما أنها لم تر فيليب بين الحشد، وضعت كأسها وخرجت تتنشق هواء المساء العليل.

عبرت الشرفة التي توزّع عليها بعض الازواج، ونزلت الدرج، متوجهة نحو الحديقة المظلمة. كان الهدوء يلف المكان والعتمة تسود بين الأشجار، فسارت متمهلة في ممر صغير وهي تفكر في فيليب.

فيليب مياشيم، مدير المبيعات في رايفيلد، رجل ذكاؤه حاد وطموحه كبير... وهو طويل القامة، وسيم، أسبغ عليه وجهه الطفولي سحراً خاصاً. وقد عملت ميا مساعدة له لمدة سنة تقريباً، وطوال هذه المدة أحبته سراً.

وضعت ميا حقيبتها على منضدة حجرية، واستندت إليها بذراعيها، وراحت تتأمل الحديقة الغارقة في الظلام. ومع أنهم في أواخر آذار كان الطقس دافئاً وكأنها ليلة من ليالي الصيف... هبّ نسيم عليل، تغلغل في شعرها، فداعبت إحدى خصلاته عنقها كلمسة عاشق ملهوف.

في عيد الميلاد الماضي، عانقها فيليب في هذا المكان بالذات، واعترف لها بحبه، وكان ذلك بعدما غادرت الحفلة لتتمشى في الحديقة.

أحست يومذاك بسعادة عارمة، فمررت اصابعها في شعره الأشقر الناعم، وعانقته بشغف وهي ترتجف.

إلا أن شوقها ما لبث أن تحوّل إلى إحساس بالذنب، لأن فيليب كان قد

خطب رودا منذ أشهر قليلة خلت. وتلت ذاك اللقاء، أسابيع من السعادة الحلوة المرة، ومن التوق والشك. كما اعتادا أن يلتقيا سراً، للحظات قصيرة مسروقة لا تشبع شوق أيّ منهما.

إنما ستشهد، هذه الليلة، تغيراً كلياً، فقد وعدها فيليب قائلاً:

ـ ما أن تنتهي الحفلة حتى أطلع رودا على قراري بفسخ خطوبتنا.

فسألته قلقه: «هل سيؤثر هذا الأمر على مستقبلك في الشركة؟».

قطب جبينه للحظات ثم اجابها بحزم:

ـ يجب أن أجازف، لا يمكنني أن أكمل حياتي بهذه الطريقة.

وعندما يصبح حراً. وبعد فترة مناسبة، سيعلنان مشاعرهما على الملأ وسيتزوجان...

قطع احلامها وقع خطوات تدنو منها. وغمرتها سعادة عارمة فقد ظنت أنه لحق بها.

شعرت أنه أصبح خلفها فتنهدت: «آه حبيبي» ثم ارتمت بين ذراعيه.

أطبقت عليها ذراعان فولاذيتان، فأدركت ميا المصدومة أنه لم يكن فيليب. فقامة هذا الرجل أطول وبنيته أقوى، وقد تميّز عناقه بشغف واستبداد لم تعهدهما في فيليب اللطيف، الذي يراعي مشاعرها دوماً.

فترت مشاعرها، وحاولت أن تتحرر من قبضته، بدفعه من كتفيه العريضتين. لكن ذراعيه لم تفلتاها بل ضمها إليه أكثر، وعانقها بشوق وعمق حتى اضطربت حواسها. فتسارعت انفاسها وأحست بنار تسري في عروقها وكأنها بركان على وشك الأنفجار.

الرغبة تقتل العقل، فكل مقاومة كانت ستبديها تلاشت، خاصة وهي تشعر بيده تجول على كتفيها وذراعها. عندئذ لفّت ذراعيها حول رقبته ودنت منه أكثر حتى التصقت به وكأنها لا تريد الابتعاد عنه أبداً. إنما كان لصوت وقع الخطى وضحكة امرأة وقع الماء البارد عليها... فسارعت تبتعد عنه وتعطي ظهرها للقادمين.

ما أن مر الزوجان، حتى التفتت ميا نحوه. لم تكن ترى من الرجل المجهول سوى قميصه الابيض وبريق عينيه، لكنها عرفته. ولعلها، في

عقلها الباطن، عرفته منذ البداية. صرخت به، وقد استشاطت غيظاً:
- كيف تجرأت؟.
ضحك ثاندر دايفسون ضحكة خافتة، وقال:
- تبدين كبطلة من بطلات العهد الفيكتوري. لكن أعترف أنك لم تتصرفي كواحدة منهن.
أخفت العتمة احمرار وجهها، وسمعته يقول ساخراً:
- في الواقع، تفاجأت حين لاحظت أنك تتجاوبين معي بهذا الشغف.
كشرت عن اسنانها وردّت: «لم أكن أعلم أنه أنت».
- من كنت تعتقدين؟ من كنت تنتظرين؟
- لم أكن انتظر أحد.
- أتهمسين كلمة «حبيبي» وترمين بنفسك بين ذراعيّ أيّ رجل يمرّ بك صدفة؟
رفضت أن تجيب، وحاولت أن تمر بجانبه بسرعة. لكن أصابعه أطبقت على ذراعها وسمّرتها في مكانها من دون أن تؤلمها.
وتشدّق قائلاً: «لا تستعجلي. تركت الحفلة خصيصاً لأكلمك».
- كيف عرفت مكاني؟
- تبعتك إلى الشرفة، فقدتني إلى هنا.
طأطأت ميا رأسها وقالت: «لم أنتبه لك».
- على ما يبدو أصبح ادعاء عدم رؤيتي عادة لديك. وهي عادة لا تقلقني... ولكن أرجو أن تكوني قد شفيت منها الآن.
- آه، شفيت تماماً... إلاّ انني قد أصاب بأخرى.
ضحك وعلق قائلاً: «بأن ترمي بنفسك بين ذراعيّ كلما أحسست بالاحباط؟».
- لا بل أن ابتعد وأهرب.
- هذا ما تفعلينه عادة.
- وأعلمك أني لست محبطة. والآن، عن إذنك.
تجاهل محاولاتها للتخلص منه والابتعاد، وأصرّ قائلاً:

- تصرفت كامرأة محبطة، ولدي الدواء الناجع لهذا الداء.
سمع وقع خطوات، فأضاف بسرعة: «المكان عام هنا، لكن إذا شئت...».
قاطعته بقولها: «دعني وإلا صرخت!».
- يا للدراما!
تجاهلت سخريته، وأكملت: «إذا ما صرخت، ستضطر لشرح الأمر لصديقتك».
- لكنك لن تفعلي.
وكان على حق، فهي تكره أن تلفت أنظار الناس، أو أن تثير الفضائح.
مر بهما شاب وشابة، يسيران ببطء، يتأبط الواحد منهما ذراع الآخر. كانا باختصار ملتصقين ببعضهما بعضاً... وحين التفت نحو هذا الثنائي، أرخى قبضته بعض الشيء عن ذراعها، فما كان من ميا إلاّ أن أفلتت منه وابتعدت مسرعة وكأن النيران في اثرها. يا لوقاحة هذا الرجل! أن يتبعها ومن ثم... لكنها اعترفت أن بعض اللوم يقع عليها...
يا الهي! كيف تمكّن ثاندر دايفسون من أن يُنسيها كل الضوابط والنواهي، ويفقدها سيطرتها على نفسها بهذا الشكل المذل؟ هي التي لم تنجرف يوماً وراء أحاسيسها نحو فيليب، ولم تستسلم لها... لم تتصور يوماً أنها قد تتجاوب بهذا الشغف وبهذه الطريقة مع رجل لا يعجبها ولا تحبه.
ظلت مسرعة الخطى تشق طريقها نحو طاولة المشروبات، لأنها كانت تشعر بظمأ شديد وكأنها سارت طويلاً في الصحراء. وهناك وجدت ويليم وأباها، يتبادلان الحديث مع جماعة من الأصدقاء والزملاء.
كان جايميس فيلدينغ طويل القامه، حسن البنية، وسيماً، بالرغم من شحوبه الناجم عن أزمته القلبية الأخيرة. رمق ابنته بنظرة استهجان، كما أعتاد أن يفعل، وقال لها:
- بدأت أتساءل أين أنت؟
وفي اللحظة عينها، التفت ويليم إليها وسألها: «هل تستمتعين بالحفلة

www.elromancia.com

يا عزيزتي؟».

ـ نعم، شكراً.

عندها، ظهرت رودا مع فيليب الذي بدا أنيقاً للغاية. لم يبدُ عليه الاستمتاع بالحفلة، في حين كانت ابتسامة رودا متلألئة مضيئة.

ـ مرحبا ميا! أوليست حفلة رائعة؟

ـ رائعة.

ردّت عليها بذلك مجاملة ولكنها راحت تتساءل عن تلك النظرة المتوترة التي بدت في عينيّ فيليب الزرقاوين. وأدركت أنه محرج يكبح انفعالاً قوياً انتابه. فهل تشاجرا؟ لكن لا يبدو على رودا أيّ تأثر.

تابعت المرأة الأخرى تقول: «لدينا خبر رائع نعلنه!».

توتر فيليب وكأنه على وشك الاعتراض، إنما لم يفعل فتوجهت رودا بكلامها إلى الجميع. لكن ميا أحست بأن هذا الخبر الرائع موجّه اليها وحدها، فسرت في أوصالها قشعريرة الخوف من المجهول.

وضعت الصهباء، التي كانت ترتدي ثوباً ذهبياً، يداً متملكة على ذراع فيليب وابتسمت له. ثم قالت:

ـ لقد اتفقنا اخيراً على تحديد موعد زفافنا، أليس كذلك يا عزيزي؟ بعد قرابة الشهرين، سأصبح السيدة مياشيم!

تردد صدى كلماتها بعمق في رأس ميا المرتبك، فوصلت اليها الاصوات التي ارتفعت بالتهاني مبهمة وبعيدة. ورمقتها المرأة الأخرى بنظرة انتصار، نظرة تنهيها عن الدنو منه! لأنه لها وحدها وستحتفظ به.

كانت رودا تعرف، من دون أدنى شك، بحبها لفليب لذا تعمدتْ أن تعلن هذا الخبر بهذه الطريقة لتحرجها وتهينها وتجرح مشاعرها أمام الآخرين.

راحت ميا تتصبب عرقاً، وسرى الجليد في عروقها وجمد أوصالها. فرفعت رأسها، وقالت، من دون أن تلتفت إلى فيليب: «أتمنى لكما السعادة».

وتمكنت من الابتسام، قبل أن تغادر المكان على قدمين لا تكفان عن

الارتجاف. توجهت نحو الباب المطل على الحديقة، وهي تصارع صدمتها التى أوشكت أن تفقدها وعيها. كادت تصل اليه، حين أحست أن الغرفة تموج وتتمايل بها.

أحاطت بخصرها ذراع قوية، وسمعت صوتاً يهمس لها: «لا بأس! أمسكت بك... استندي إليّ وحسب».

لم يكن بامكان ميا سوى إطاعته، فاستندت إلى ثاندر دايفسون الذي ألقى برأسها على كتفه. ولو نظر اليهما ناظر لظنهما عاشقين يتسامران.

احنى وجهه نحوها، وقال لها بنعومة:

ـ لن أحاول حملك، حتى لا نلفت الانظار الينا. لذا، سنقف هنا حتى تشعري بتحسّن وتتمكني من السير على قدميك.

وما إن أصبحت قادرة على الوقوف، حتى رافقها ببطء نحو الشرفة. وحينما أصبحا حيث الهواء العليل سحب لها كرسياً إلى مكان مظلم وأجلسها عليه. ثم امتدت يده الحازمه إلى عنقها ودفع رأسها حتى أصبح بين ركبتيها.

بعد برهة تمتمت: «أشعر بتحسن».

ساعدها على الجلوس بشكل سويّ، وسألها بسرعة: «هل ستكونين بخير إن تركتك وحيدة لدقيقة؟».

ـ نعم، شكراً لك.

عاد ثاندر سريعاً، حاملاً بين يديه فنجاناً من الشاي الساخن المحلّى. كانت يداها ترتعشان، فعجزت عن امساك الفنجان بثبات، وأوقعت بعض الشاي على الصحن. وعندما فرغت من شرب الشاي، سألها:

ـ هل يمكنك العودة إلى الداخل؟

فردت بشكل عنيف: «لا!».

ـ لا يمكنك البقاء في الخارج، أنت ترتعشين.

رفعت رأسها نحوه، وقالت: «أود أن أعود إلى منزلي. أريد سيارة أجرة».

ـ لن يكون ذلك سهلاً. أعتقد أن كافة السيارات في المحيط محجوزة.

اطبقت ميا اسنانها المصطكة، وراحت تفكر في ما ستفعله. اذ لا يمكنها أن تعود إلى الداخل، لتتصرف وكأن شيئاً لم يكن.

سمعت ثاندر يسألها: «كيف اتيت إلى هنا؟ هل جئت برفقة أبيك؟».

ـ أوصلني آل برنش. فأبي سيقضي الليلة هنا.

ـ أقترح عليك، اذاً، أن تفعلي مثله. سأسأل مدبرة المنزل ما اذا كان هناك غرفة إضافية. وإلاّ سأعطيك غرفتي.

ـ شكراً لك، لكني لا أريد البقاء. لا أريد البقاء!

عبّرت ميا بصرختها هذه عن شعور اليأس الذي تملكها. فقال لها ثاندر بصوت عميق: «انتظري هنا».

ابتعد عنها بخطى ثابتة، تاركاً إياها تتخبط في يأسها وألمها. وتنبهت ميا إلى أن الحفلة بلغت اوجها، إذ كانت الموسيقى تصدح أكثر فأكثر. وتناهى إلى مسمعها أصوات أناس يتحدثون ويضحكون ويلهون غير مكترثين بمأساتها وبعالمها الذي انهار من حولها.

ما الذي دفع فيليب إلى تغيير رأيه، بعد تلك الوعود التي أطلقها؟ وما السلاح الذي استخدمته رودا لتحتفظ به؟

وعادت إلى عالم الواقع على صوت ثاندر وهو يسألها: «معك معطف؟».

هزت رأسها وأجابته: «كان الطقس دافئاً، فلم أرتد معطفاً».

ـ هل تريدين توديع أحدهم؟.

ـ لا.

ـ هيا بنا، اذن.

ـ هل تمكنت من تأمين سيارة اجرة؟

ـ تقريباً.

مدّ يده وأمسك كوعها ثم ساعدها على الوقوف على قدميها. وبالرغم من طولها الفارع، والحذاء ذي الكعب العالي الذي تنتعله، وصل رأسها إلى مستوى ذقنه.

وما أن أحسّ ثاندر بارتجافها حتى خلع سترته ووضعها حول كتفيها.

فشكرته وشدّت السترة على صدرها لأنها أحست بحاجتها الماسة لدفئها.

رأت في آخر الممر سيارات اجرة، لكن ثاندر تجاوزها، وتوجه نحو سيارة بورش بيضاء. فاعترضت قائلة:

ـ هذه ليست سيارة اجرة!

ـ أتريدين العودة إلى منزلك أم لا؟

ـ نعم، أود ذلك... لكن لا يمكنني أن ابعدك عن الحفلة. ماذا عن صديقتك؟

ـ ستكون جاكلين بخير إلى حين عودتي.

فتح لها باب السياره واضاف: «لننطلق».

صعدت ميا إلى السيارة من دون أن تضيف أي كلمة اخرى. فلم تشأ أن تدين له هو شخصياً بشيء، لكن يبدو إنها لا تملك الخيار.

سألها، وهو يحكم وضع حزام الامان لها: «هل تعيشين مع والدك؟».

ـ لا، بل أقيم في شقة في جيرتون تيراس، ورقمها ٣٣.

أثناء توجههما إلى لندن، أسندت ميا رأسها إلى أعلى مقعدها، وأغمضت عينيها وهي تشعر بأن أحداث اليوم أضنتها.

كانت عيناها ما زالتا مطبقتين، ولتتجنب الإصبع الذي قطع احلامها وهو يربت على خدها أدارت وجهها.

سمعت صوتاً عميقاً يتملقها قائلاً:

ـ هيا، استيقظي. لا يمكنك تمضية الليل في السيارة، فهي ليست دافئة كفاية.

بذلت ميا جهدها لتفتح عينيها المثقلتين بالتعب والنعاس. وحين أفلحت، رأت ثاندر دايفسون ينحني فوقها ويحاول إيقاظها من نومها العميق.

بقيت واجمة للحظات، ثم تذكرت ما مرّ بها وما تفعله في سيارته. حاولت أن تحسّن جلستها، فلاحظت أن السيارة قد توقفت أمام منزلها.

تخلصت من حزام الامان، فسألها: «في أيّ طابق تسكنين؟».

ـ في الطابق السفلي.

www.elromancia.com

نزل من السيارة وفتح لها الباب. ترجلت بدورها وسترته لا تزال حول كتفيها. لكن ما أن وطئت قدماها الأرض، حتى ترنحت فاسندها، معلقاً:

ـ انت نصف نائمة.

تجاوزا السياج الأسود، ليصلا إلى السلم الحديدي اللولبي، فأمسك بيدها وكأنها طفل صغير، وقال:

ـ من الأفضل أن انزل قبلك.

عندما وصلا إلى الباب، شهقت وضغطت بأصابعها على صدغيها قائلة:

ـ وضعت المفتاح في حقيبتي. ولا أدري أين هي.

فرد عليها بهدوء: «إنها في جيبي. تركتها في الحديقة».

ومد يده إلى جيبه وأخرج حقيبتها الصغيرة وناولها اياها.

تلمست ميا محتوياتها بحثاً عن مفتاحها. لكن أصابعها المرتجفة رفضت أن تطيعها وراحت محاولاتها عبثاً.

فقال لها ثاندر: «اسمحي لي».

وفي لحظات، عثر على المفتاح. وسمعت صرير بابها المطلي باللون الاصفر وهو يفتح. خلعت سترته، وناولته اياها، ثم وقفت في الباب وهي تترنح، كما لو أنها لا تدرك ما عليها فعله.

ـ أقترح عليك أن تغلقي بابك وتقفليه، إلا إذا اردت دعوتي إلى الداخل.

ـ أنا... اشكرك، فقد كنت لطيفاً للغاية.

أغلقت الباب وأحكمت اقفاله. وفيما كانت تضيء الانوار وتسدل الستائر، سمعت صوت سيارته تنطلق وتبتعد.

كانت شقتها تقتصر على غرفة واحدة ومطبخ وحمام صغيرين. تحركت ميا فيها ببطء، وكأنها رجل آلي فقد طاقته. خلعت ملابسها، وارتدت قميص نومها، ثم ارتمت على سريرها لتغط في نوم عميق.

***

استيقظت وهي تشعر بأنها تطفو على سطح الماء، فالنعاس ما زال يسيطر عليها. ووسط اللايقظة واللانوم تناهت إلى سمعها أصوات يوم الاحد المألوفة. فهذا كلب السيدة بادستو ينبح، وتلك السيدة اكرويد تنادي تومي، وذاك تريفور يجرب دراجته النارية...

ثم تدفقت الذكريات، حادة ومرة. ولفها إحباط عميق بحيث شعرت بضباب رمادي يطبق عليها... لقد ضاعت آمالها واحلامها، ليتها لم...

في تلك اللحظة، سمعت جرس الباب، فتسارعت دقات قلبها. هبّت جالسة في فراشها، وضمّت يديها، لتكافح احساساً بالاثارة تملكها.

أدركت في قرارة نفسها أن الطارق ليس فيليب فهو لن يأتي، لأنه إنسان حساس، يكره المضايقات، والمناقشات تزعجه. كما وأنه ليس من الرجال الذين يحركون رماد علاقة حب انتهت. إن كان ما جمعهما حباً...

ورن الجرس مجدداً. لا، لا يمكنها أن تواجه أحد، ستتجاهل جرس الباب وحسب. إلا أن الطارق كان شديد الالحاح، فضغط على الجرس بإصرار يدفع إلى الجنون.

نهضت ميا من فراشها، وتوجهت نحو الباب، وهي ترتدي قميص نومها الوردي والابيض.

أحست بضعف ووهن في أوصالها، وكأنها عانت طويلاً من المرض. ولاحظت أن الصدمة قد أثرت في جسمها وعقلها على حد سواء.

ما زال جرس الباب يدق. لا بد أنه تريفور، يسعى للحصول على نقود معدنية ليتصل من الهاتف الذي وضع حديثاً في بهو المبنى الذي تقيم فيه.

فتحت القفل، وشرعت الباب. لكن الرجل الطويل، الوسيم الذي استند الى اطار الباب، ووضع إصبعه على الجرس لا يشبه أبداً الفتى النحيل الذي توقعت أن تراه. أحست بحمرة الخجل تتصاعد إلى وجنتيها، وتلاشت رباطة جأشها، حين رفعت عينيها إلى وجه ثاندر دايفسون القاسي وعينيه الخضراوين الساخرتين.

***

٢ ـ عاشقان

ـ آه، هذا انت!

هتفت ميا برعب، وقد ظهر الإنزعاج جلياً على وجهها. في حين ابتسم ثاندر بتهكم، ليكشف عن أسنانٍ رائعة. راحت تتأمل فمه الحازم وشفته السفلى المكتنزة... إنه حقاً لجذّاب! وفكرت بينها وبين نفسها في أنّ ما من امرأة تقوى على مقاومته.

وفيما راح يقترب منها، تراجعت لا إرادياً إلى الخلف. ويبدو انه اعتبر حركتها الغريزية دعوة له، فتبعها إلى غرفة الجلوس. بدت الشقة ضيقة بعدما ملأها بطوله الفارع وكتفيه العريضتين.

تراجعت أكثر فأكثر، وابعدت بيد مرتجفة شعرها الأشقر عن وجنتيها الحمراوين، وقد زاد من ذعرها، لباسها الرقيق وسريرها المبعثر، فقالت له:

ـ أخشى... أخشى أني لا أرتدي ثياباً لائقة.

ـ لاحظت ذلك، لكن لا عليك.

ألقى نظرة فاحصة وقحة على قميص نومها، وكشر ثم أضاف: «إن لباسك أشبه بلباس الأطفال، وهذا لا يثيرني».

قلما كان يهمها أن تثير حواسه! وأوشكت أن تقول له ذلك. لكنها عادت واحتفظت بردها لنفسها، فإذا كانت هذه لعبته المفضلة، من الافضل أن تحافظ على هدوئها ورباطة جأشها، وألاّ تظهر له اضطرابها كلما رآه.

توجهت نحو النافذة، وسحبت الستائر، قائلة:

ـ بما أن الوقت مبكر، و....

قاطعها باختصار: «تجاوزت الساعة العاشرة».

واستند بتكاسل إلى المدفأة، المصنوعة من القرميد، واضعاً مرفقه على رفها. كان يرتدي كنزة سوداء بياقة عالية وسروالاً فاتح اللون، أظهر بطنه الأملس ووركيه الضيقين. بدت سحنته صافية، وعيناه الخضراوان لامعتين، أما شعره الكث فقد تجعد عند عنقه. باختصار، بدا انيقاً، وسيماً، جذاباً وواثقاً من نفسه.

سحبت نفساً عميقاً وحاولت أن تقول: «لم أكن اتوقع حضورك، لذا...».

فانقض عليها بسرعة، سائلاً:

ـ ماذا كنت تتوقعين؟ أن يسرع مياشيم اليك، ليؤكد لك أن زواجه لن يغير شيئاً؟ وأنه يمكنكما الاستمرار بلعبتكما؟

شحبت وتلعثمت قائلة: «أنا... أنا لا أفهم ما تعنيه».

ـ لا تلعبي معي دور البريئة... فأنت تضيعين وقتك. أعلم جيداً أنكما على علاقة.

وفيما راحت تهز رأسها، أضاف ببرودة: «لا داعي للنكران. ففي الليلة الماضية، وبعد انتهاء الحفلة، أخبرتني رودا بما يجري. لحسن الحظ، اكتشفت الامر في الوقت المناسب. كدت تنجحين في اقناع مياشيم بفسخ خطبتهما، أليس كذلك؟ حسناً، أليس كذلك؟».

عاد اللون إلى وجهها، لا بل اشتعلت وجنتاها بنيران الغضب، وردت: «لم أضغط على فيليب يوماً! وإن فعلت فهذا ليس من شأنك!».

وقف قبالتها، ووضع يديه على وركيه، ثم قال: «إن الامر يعنيني. فرودا قريبتي أولاً، ونحن عائلة واحدة. وهي تريد مياشيم... وأقسم أنني لا أفهم السبب فهو ضعيف الشخصية. لكنه خيارها، ولن أقف مكتوف اليدين وأنا أرى امرأة فاسقة، ذات وجه جميل، ميّالة إلى اصطياد رجال الاخريات، تخطفه منها».

أفقدتها كلماته قدرتها على النطق، وأحست بغضب عارم بجتاحها، إلا أنها تمتمت: «فيليب ليس ضعيف الشخصية. إنه إنسان حساس وحنون، لا

www.elromancia.com

يعرف العجرفة والاستبداد والوقاحة مثلك. . . كيف تجرؤ على وصفي بالفاسقة؟ انت لا تعرف عني شيئاً».

ـ أعرف كيف تصرفت الليلة الفائتة. ولو لم أكن أعلم أي نوع من النساء أنت، لكوّنت فكرة عنك من طريقة تجاوبك معي.

وتوقفت فجأة عن الكلام، عاجزة عن الاعتراف بأنه الرجل الوحيد الذي أفقدها سيطرتها على نفسها. فهي ترفض أن تذل نفسها أمامه. وبعد أن استمع إلى أقوال رودا، لن يصدّقها هي، حتى وإن أقرت بهذا.

وألحّ معذبها عليها قائلاً: «. . لِـمَ. .؟ أكملي شرحك، إذ يبدو مثيراً للاهتمام».

سحبت نفساً عميقاً، وقالت: «الليلة الماضية، كنت أفكر بفيليب وعندما سمعت وقع خطواتك، وللوهلة الاولى، أنا. . . أنا. . .».

ـ اعتقدت أنني هو. . . حسناً. . . حسناً. . . لن أعتبر الأمر اطراءً. لكنه يفسّر لما رميت نفسك بين ذراعي إنما لا يبرر سبب عدم ابتعادك عني، بالرغم من أنك أدركت أني لست مياشيم.

هزت ميا رأسها يائسة لأنها لا تملك رداً على سؤاله، فتصرفها بدا غير منطقي وعجزت عن تفسيره حتى لنفسها.

راحت عيناه الثاقبتان تتأملان وجهها، وهو يقول: «إما أنك من نوع النساء الذي ذكرته وإما أن انجذاباً قوياً يشدّ أحدنا إلى الاخر. فأي تفسير هو الاصح؟».

وحين رفضت أن تجيب، أكمل حديثه: «ربما الاثنان معاً؟ أعلم. . .».

فقاطعته بحراره: «لا، قلت لك، أنت لا تعرف عني شيئاً».

ابتسم ابتسامة ساخرة مفترسة ورد: «. . آه، لكني أعرفك، فقد اكتشفت من لقائنا الاول، أنّ في حياتك رجلاً».

ـ كيف عرفت؟

لوى ثاندر شفتيه بشكل كئيب وأجاب: «أكدّت لي ذلك ردة فعلك تجاهي وانجذابك إليّ. . . لكنك قمت بصدي، فبصراحة كنت تريدين أن

تعلق سمكة أخرى في شباكك ولم يخطر في بالي قط أن مياشيم هو الهدف».

فسألته بغضب وغيظ: «ألم يخطر في بالك انني صديتك كما قلت، لأني وجدتك مستبداً، قاسياً وبغيضاً؟ إن فيليب لطيف، يراعي مشاعر الآخرين؛ وهو رجل حسن الاخلاق، وأفضل منك بكثير».

ـ إنه إنسان تافه وبارد، وهو لا يناسبك حتى لو كان حراً. وهو ليس حراً، إذ سيصبح قريباً زوج رودا في السراء والضراء ولن أسمح لك بتفريقهما.

تملكها الغضب فارتجفت، وقالت: «لن تسمح. . . !».

رد بهدوء: «هذا صحيح، مياشيم سريع التأثر، لذا انصحك بالابتعاد عنه».

ما أن تمكنت ميا من كبت غضبها، حتى قالت، وهي تحاول معاملته بوقاحة:

ـ بحكم عملي معه، سأجد صعوبة في تنفيذ اوامرك.

سمّرتها نظراته الباردة، وقال: «تعرفين جيداً ما أعنيه. فلا تحاولي أن تظهري ذكاء لا نفع منه وإلا لن تعملي معه طويلاً».

ورغم الجهود التي بذلتها ارتجف صوتها، وهي ترد عليه قائلة: «يبدو لي انك تهددني».

ـ فلنقل إن ويليم سيقوم بأي شيء من أجل ابنته الوحيدة.

رفعت ذقنها بتعالٍ وقالت: «لعلك نسيت أن أبي يملك نصف الشركة».

ـ لا، لم أنس. لكني أشك في أن جايمس سيوافق على ما يجري.

أصابت كلماته الهادئة هدفها بدقة. وكم كان محقاً! وأردف ثاندر برقة:

ـ لكن، ومن أجل مصلحة مياشيم، تفضّل رودا ألا يعلم أحد بالأمر.

ـ لِـمَ أخبرتك اذن؟

ـ كي أعالج الأمر.

www.elromancia.com

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي ميا، ورفعت عينيها نحو وجهه قائلة:

ـ حسناً، أعترف أن مهنة رجل المهمات الصعبة تناسبك.

جمعت كل ما تبقى لديها من شجاعة لئلا تفرّ من نظرات عينيه اللتين تطاير منهما الشرر. لكنها وبطريقة ما، صمدت أمامه. ما لبث أن تمالك نفسه، فرفع صوته قائلاً:

ـ لن تفيدك هذه النكات التي لا معنى لها. ثقي أنه من الافضل لك أن تدعي مياشيم وشأنه، لأنك لن تفوزي به.

صرخت ميا، وهي ترتجف سخطاً: «افترض اني اخترت ألا أنصاع لأوامرك، فماذا ستفعل؟ هل ستقتلني رمياً بالرصاص؟».

ابتسم ثاندر ابتسامة مرحة، كشفت عن أسنانه البيضاء، وقال: «ثمة حل أسهل، وأقل إيلاماً».

ـ كلي شوق لسماعه!

ـ سأحرص على شغلك بتدفئة سريري حتى لا تفكري في التسلل إلى سريره.

اقشعر جسمها من وقع كلماته، وجفّ حلقها. حاولت ألا تظهر مدى انفعالها، فرمته بنظرة ثاقبة، أخفت وراءها الالم الذي اعتصر فؤادها، وقالت:

ـ أنت لا تتحدث إلا عن الجنس.

لفظت الكلمة الاخيرة وكأنها كلمة بذيئة، واكملت: «يبدو انك تعتقد أن كل ما بيني وبين فيليب...».

صحح ثاندر كلامها: «ما كان».

تجاهلت ملاحظته، وراحت تقول: «لكني أحبه... وهو يحبني».

اغرورقت عيناها الرماديتان بالدموع. وسمعته يقول:

ـ لعلك تحبينه، وهذا ما أشك فيه. لكن، إن كان يحبك فلماذا يا ترى يفكر في الزواج من امرأة أخرى بعد شهرين؟

طرح عليها السؤال الذي لم تنفك تطرحه على نفسها منذ الليلة

الماضية. فحاولت أن تجيبه: «أنا... أنا...».

لكن دموعها انهمرت بغزارة وبللت وجنتيها، فمسحتها بظاهر يدها لئلا يراها تبكي، ويدرك مدى يأسها.

إنما لم يظهر أيّ لين أو تأثر على وجهه القاسي، بل اكمل كلامه:

ـ فهمت الآن، لما كدت تفقدين وعيك في الامس، فالخبر الذي أعلنته رودا صدمك. وأخيراً أدركت أنك خسرت. لا عجب إذن في أن ترغبي في الفرار والابتعاد!

رفعت ميا رأسها، وأعلنت بما تبقى لها من وقار: «إن كنت قد انتهيت فأرجو منك أن تغادر منزلي في الحال».

ـ سأرحل ما أن تعديني بترك مياشيم وشأنه.

سألته بنبرة عذبة: «ما الامر؟ هل تخشى رودا أن أدفعه مجدداً إلى تغيير رأيه؟».

زمّ ثاندر شفتيه، وقال: «عديني وحسب».

ومع أنها لا تنوي خطف فيليب من رودا إلا أنها عزمت على عدم السماح له بإرهابها، فكان أن ردت بجرأة: «لن أعطيك وعداً مماثلاً. وإن فعلت، فمن يضمن لك أني سألتزم بوعدي».

ـ يمكنني أن اتأكد من هذا.

حمل صوته تهديداً هادئاً، وكأن حبلاً من الحرير لُفّ حول عنقها.

ابتلعت ريقها بصعوبة، رافضة إظهار خوفها: «آه، وكيف لك أن تفعل؟».

ـ بزواجي بك.

طفح كيل ميا، فانبرت تقول: «إنك حقاً متعجرف، متغطرس... لن أتزوجك وإن...».

رفع يده يقاطعها، متشدقاً: «أرجو منك ألا تقولي وإن كنت آخر رجل على الارض لأنك لا تعنين ذلك».

ـ بل أعنيه فعلاً.

هزّ رأسه معلقاً: «الرغبة حافز قوي، لا سيما لامرأة ذات طبيعة متقدة مثلك».

لطالما حاولت ميا، ومنذ صغرها، أن تخفي مشاعرها. ومع الوقت تعلمت كيف تخفي دفئها واحساسها المرهف، وطبيعتها العاطفية، خلف جدار من البرودة.

وهذا الجزء البارد من طبيعتها أظهرته لفيليب، لكن ثاندر هو الرجل الوحيد الذي جرّدها من قناعها ورآها على طبيعتها.

شوّشت كلماته افكارها، فسارعت إلى الانكار: «لا، لست...».

ـ آه، لكن طبعك المتقد يلائمني إلى أقصى حد، أما مياشيم فلا يناسبك أبداً. ألا تجدينه عاشقاً ودبعاً للغاية؟ أعتقد أنه عليك أن تتماسكي وتضبطي احاسيسك لئلا تخيفينه، وهذا ما لم تفعليه بين ذراعيّ في الأمس.

جمعت ميا قبضتيها، فقد تملكها الخجل والخزي، ولم تعد قادرة على تحمّل المزيد، لذا ما كان منها الا أن تجاوزته بسرعة، وتوجهت نحو الباب الذي فتحته على مصراعيه، قائلة:

ـ حسناً، قلت ما عندك. وأهنتني وفيليب بما فيه الكفاية. الآن، أخرج من هنا.

هزّ كتفيه القويتين باستخفاف، ومشى نحوها. كانت تنتظر بفارغ الصبر خروجه كي تقفل الباب ولا تراه مجدداً لكنه قام بما فاجأها إذ مدّ ذراعه من فوق كتفها، وقبل أن تعرف ماذا يحدث رأت الباب مقفلاً ورأته رازحاً في شقتها الصغيرة.

استندت إلى الباب مذهولة. أما هو فاقترب ووضع يديه على جانبي وجهها محاصراً إياها... كان وجهه على بعد أنامل منها، فأحست بأنفاسه الدافئة تختلط بأنفاسها المتسارعة. وسمعته يقول:

ـ ربما عليّ أن أنعش ذاكرتك.

وعادت ذكرى لقائهما في الحديقة تداعب ذهنها فأحست بالنيران تشتعل في كيانها. اعترضت بصوت أجش:

ـ لا، دعني وشأني! لا أريد منك أن تعانقني.

قال بصوت بارد: «أنا متأكد من أنك تريدين مني أن أعانقك. وعلى أي حال، لم أكن أطلب الإذن منك».

مرر أصابعه في شعرها الاشقر الحريري، وأمسك برأسها بين يديه، وراح يلامس خدها بابهامه.

حضّرت ميّا نفسها لمقاومة هذا الاعتداء. لكن ثاندر لم يكن أخرق، يفتقر إلى الرقة والخبرة، اذ عرف كيف يتلمس طريق قلبها بلطف، وبرقة وعذوبة تكاد لا تقاوم.

بذلت ميا جهوداً خارقة لتحافظ على رباطة جأشها وهو يعانقها بلطف.

تصاعد الدم الحار إلى عروقها وسرعان ما تلاشت مقاومتها، وغرقت في بحر المشاعر المتلاطمة... وهو يعانقها بعمق وشغف، مطالباً بغنيمته كفاتح مغوار.

طافت يداه القويتان الخبيرتان على ظهرها وكتفيها برقة ثم أخذت أصابعه تتحرك على عنقها على شكل دوائر، فسرت النيران في كيانها. وما كان منها إلا أن التصقت بثاندر أكثر فأكثر.

جاءت ضحكة ثاندر ناعمة، جشة، وكأنها خليط من المتعة والنصر، وسمعته ميا يقول:

ـ أرأيت ما أعنيه؟ ما هذا الانجذاب الذي يشدّ أحدنا نحو الاخر؟

وأضاف وهو يداعب أذنها: «من الأفضل أن تسدل الستائر فنحن لا نريد أن نروّع المارة».

صدمتها كلماته، وقضت على أحاسيسها بسرعة وكأن الطاقة انقطعت عنها. تصلّب جسمها، وحاولت أن تدفعه بعيداً عنها.

تركها وابتعد عنها وقد بدا له جلياً التغير المفاجيء الذي طرأ على مشاعرها وردات فعلها.

كانت يداها ترتجفان، وبالرغم من هلعها، سألته بصوت ثابت:

ـ أتعرف ما يقوله (بيرنز) عن أفضل الخطط لطرح الفئران والرجال أرضاً؟.

فصحح ثاندر سؤالها بهدوء: «مخططات».

أحست ميا بالراحة لأن سيطرته على نفسه أثارت إعجابها، إذ توقعت أن تواجه ثورته وغضبه، أو أن يحاول إرغامها على الاستسلام. لكنه كبح

أحاسيسه مهما بلغت قوتها.

تأملها بدقة بعينيه الخضراوين، وأشار:

ـ كنت منسجمة كلياً معي، كما أظهرت توقاً يتمناه أي عاشق. وفجأة، انطفأت الشعلة المنيرة وغطاها ثلج بارد، مما قد يحوّل أيّ رجل فانٍ إلى جبل جليد... ماذا جرى؟ هل فكرت في مياشيم؟.

نظرت اليه... إنه طويل ونحيل... كان شعرها الأشقر الحريري قد تشعث ووجنتاها توردتا، وقالت: «لا، لم أفعل».

وارتجفت حين تبين لها أن ما يقوله هو الحقيقة المجردة.

فأضافت برقة: «أيمكن أن تكون مخطئاً، وأن الانجذاب لا وجود له؟».

ـ لا، بل هو موجود. لكن هناك عامل لم آخذه بعين الاعتبار، أمر غريب!

أحست ميا بمرح ساخر؛ أما الامر الغريب فهو أنها بريئة جداً بالنسبة لامرأة ستبلغ السادسة والعشرين من عمرها تقريباً، فهي ليست تلك المرأة السهلة والخبيرة التي يتصورها هو.

مشى ثاندر نحو الباب الذي فتحه والتفت نحوها قائلاً: «لا أعتقد أنك تصرين على عدم إقامة علاقة قبل زواجنا. لهذا، إذا دفعك الاحباط إلى تغيير رأيك، أعلميني».

وألقى عليها تحية ساخرة، ثم أغلق الباب خلفه. وفيما كانت تصغي إلى وقع خطواته على السلم الحديدي خالجها شعور بالراحة لأنه رحل أخيراً.

وبعدما رحل، حلّ الغضب مكان الراحة وعاد ليثير أعصابها. كيف تجرأ على طرق بابها وإصدار اوامره؟ كيف تجرأ على أن يستقوي عليها ويهددها ويشتمها! ثم يحاول معانقتها بذاك الشغف والإصرار! هذا ما لا يحتمل!

وفكرت بحنق أنها تكره ثاندر دايفسون، تكرهه وتشمئز من نفسها بسبب ضعفها أمامه. كيف استسلمت لعناقه مرتين على التوالي؟ أحست

بالإعياء والمرض، وراحت ترتجف بعصبية مفرطة.

انهارت عند أسفل السرير، واستندت رأسها المرتجف على يديها، فعقلها أبى إلاّ أن يعيد عليها شريط أحداث اليوم كلها. ولكم بذلت جهداً مضنياً لتطرد الصور التي راحت تمر أمام عينيها. ينبغي ألاّ تفكر في الأمر، ينبغي أن تنسى ثاندر دايفسون.

خفّت، بعد حين، حدة اضطربها، وأضحت أهدأ نسبياً. لكن صورته رفضت أن تغيب عن ذهنها، خاصة أنّ صدى صوته لا ينفكّ يتردد في أذنها، ليهمس لها: «قبل زواجنا».

كان المنطق يشير إلى أنه لم يكن جاداً حين تحدّث عن زواجهما. لكن، ولسبب ما، أدركت أن العكس صحيح. فهو مجنون! لم يكن يعجبها، فكيف لها أن تحبه. فيليب هو الرجل الوحيد الذي اهتمت لأمره يوماً. لعل ثاندر يجذبها، لكن...

اربكتها أفكارها وكأنها وصلت إلى حواجز مخيفة واصطدمت بها. نعم، كانت تنجذب اليه... وأخيراً، اعترفت بما ادركه عقلها الباطن منذ البدء. إنه ذاك الانجذاب القائم بينهما وقوته هو ما يثير قلقها.

راحت تؤكد لذاتها أن الأمر جسدي وحسب، ولن تتزوجه أبداً. ولكن رغم اعتراضاتها، كانت مشاعر غريبة تسرى في أوصالها. لم يتكلم ثاندر عن إمكانية زواجهما، بل تحدث عن الامر وكأنه محتم.

***

في اليوم التالي، استيقظت ميا قبل الساعة السابعة. راحت تفكر في فيليب، فشعرت بفراغ، واضطراب فكري ونفسي عجزت عن التخلص منها.

استحمّت ولبست ثيابها. شربت قهوتها على عجل، إذ أحست بحاجة ماسة لمغادرة شقتها الضيقة. بدا لها يوم الأحد طويلاً، إذ جافاها النوم بالرغم من احساسها بالتعب.

كان الطقس البارد والغائم أشبه بمزاج ميا المعكّر. وبدت منطقة

www.elromancia.com

بايزواتر تراس، حيث تقيم، بالية، بعد أن كانت من المناطق الانيقة في ماضي، فأبواب المنازل وأطر النوافذ تحتاج إلى طلاء، إذ تقشّر طلاءها القديم وبدا كمرض جلدي كريه.

لكن، وبالرغم من حالتها الرديئة، كان الطلب على هذه الشقق متزايداً، بسبب موقعها في وسط المدينة. واعتبرت ميا نفسها محظوظة للغاية، لأنها حصلت على شقة قريبة من مكان عملها.

هبّ هواء عاصف حمل معه أمطاراً غزيرة، تساقطت على مظلتها وعلى الرصيف، فراحت تحثّ الخطى لتصل إلى مركز عملها، في مكاتب رايفليد.

فتح حارس، يرتدي زياً أزرق، الباب الكبير، وألقى التحية على ميا:

ـ صباح الخير يا آنسة فيلدنيغ وصلت باكراً.

هزت حبيبات المطر عن مظلتها وأغلقتها ثم قالت له: صباح الخير يا جورج. هل تشعر بتحسن؟

بادلها الحارس، المتوسط العمر، الابتسام، قائلاً:

ـ لا يسعني أن أتذمر، آنستي الحمد لله. علماً أن هذا الطقس لا يناسبني.

كان السكون يلف البهو حين قطعته، متوجهة نحو المصعد. وصلت إلى الطابق الرابع، وفتحت باب مكتب مدير المبيعات الواسع والحديث. كان المكتب الداخلي عرين فيليب الخاص، أما المكتب الخارجي فهو ما تتقاسمه مع جانيت رانسو، سكرتيرتها وساعدها الأيمن.

وما إن خلعت ميا معطفها ووضعت مظلتها في المكان المخصص لها حتى دخل فيليب إلى المكتب. بدا بطوله وبنيته النحيلة، وبذلته الانيقة، مديراً شاباً متألقاً بكل ما للكلمة من معنى.

أحست بغصة في حلقها، بسبب التوتر الكبير الذي أصابها، ووقفت ميا ساكنة تحدّق فيه.

قال لها، بإلحاح: أملت أن تأتي باكراً. يجب أن أتحدث إليك. يا إلهي! يا للفوضى! ماذا سنفعل بحق الله؟

هزت رأسها لأنها عجزت عن النطق بكلمة واحدة فأضاف باندفاع: «لا يمكنني أن أتخلى عنك. لا يمكن!».

وسمعت نفسها تقول: أنت من بدّل رأيه.

ثم عضت على شفتها إذ أدركت أن كلماتها مشبعة بالتأنيب. لكن شعورها نحوه امتزج بشعور بالاستياء المتزايد، لأنه تركها تقع في الفخ الذي نصبته رودا.

مرر يده المضطربة على ذقنه المحلوقة، ولاحظت أن وجهه بدا متعباً وشاحباً.

وبعد لحظات، همست وهي تغصّ بالدموع: «آنا آسفة لكني لا أفهم ما فعلته، بعد وعودك لي».

ـ لم أكن أملك خياراً آخر.

ـ لم تكن تملك الخيار.

حاول أن يرفع نظره إلى عينيها، لكنه لم يفلح. فطأطأ رأسه، قبل أن يتمتم قائلاً:

ـ رودا حامل.

ـ حامل؟

للوهلة الاولى، لم تفهم ميا ما قاله لكن ما لبث أن حدقت فيه مشدوهة، وقالت:

ـ كنت تطارحها الغرام!

تورّد وجهه، واتهمها بوقاحة:

ـ تبدين كامرأة عذراء عانس. أنسيت أننا خطيبان؟

تزايد غضبها، وأحست وكأن قبضة حديدية أطبقت على رأسها، فسألته: «أتعني أنك كنت تمارس الحب معها في حين كنت تحاول جرّي إلى ذلك...؟».

تململ فيليب، ودسّ يديه في جيبي سرواله، ليخفي ارتباكه، وأجابها: «تعلمين جيداً أني أحبك أنت. لكن حين أدركت ذلك، كنت أنا وورودا قد... أعني... كان الاوان قد فات. ولو صدّيتها فجأة، لتساءلت

عن السبب. . .».

تجاهلت ميا كلماته، وسألته بحنق: «ماذا كنت لتفعل لو وافقت؟ تقضي ليلة معي ومن ثم الاخرى معها؟».

ـ لا داعي لتصويري كوحش عديم الفؤاد.

سحب يديه من جيبيه، وبسط كفيه نحو الاعلى، يرجوها: «لو لم تحمل رودا، لسارت الامور على ما يرام».

ـ أتعني أنك كنت ستفسخ خطوبتك؟ لكني ما كنت لأعلم.

ـ ما تقولينه ليس عادلاً!

بدا الازدراء جلياً في عينيها، وهي تقول: «وما تفعله ليس عادلاً!».

مرر أصابعه في شعره الاشقر المصفف، قائلاً:

ـ أردت أن أفسخ الخطوبة، أليس كذلك؟

فاعترفت: «نعم، لكني لم أكن أعلم أنكما. . .».

سكتت للحظة، ثم أكملت وهي تشدد على كلمتها: «عاشقان».

ـ لا أرى ما الفرق.

يا إلهي، أيمكن أن يكون عديم الاحساس إلى هذا الحد؟

وراح يرجوها: «أرجوك، عزيزتي، اسمعيني. لا داعي للغيرة، فأنت من أحب ومن أريد. ربما لأننا نعمل في المكتب نفسه يمكننا أن نتقابل يومياً حتى أجد حلاً لوضعنا».

ابتلعت ميا الغصة المؤلمة، ومضت تقول: «لقد فات الاوان. ولن نعمل في المكتب نفسه. وها أنا أقدم استقالتي من أجل مصلحة الجميع».

أمسك بدها، وشدّ عليها حتى آلمها: «لاتكوني سخيفة. لا داعي لأن تتركي عملك وكأنك. . .».

قاطعته قائلة: «لن أحتمل البقاء. وإن استطعت ذلك، فليس من العدل أن أتسبب لرودا بمزيد من القلق لاسيما وأنها حامل».

ـ ماذا تعنين بمزيد من القلق؟ إنها تجهل ما يجري بيننا.

ـ بل تعلم!

ـ لم أعترف لها بشيء. كنت قد قررت إعلامها بعد الحفلة، لكن ما إن

وصلت، حتى أطلعتني على. . . الخبر الذي تحمله. . . ما الذي يجعلك تعتقدين أنها تعرف؟

ـ أنا لا أعتقد. أنا متأكدة من ذلك.

بدا الرعب في عيني فيليب، وهو يسألها: «انّى. . .».

ـ ليس لدي أدنى فكرة عن الموضوع، لكن. . .

فتح باب المكتب فجأة، ودخلت جانيت. فترك فيليب يد ميا على عجل، وسارع إلى مكتبه من دون أن يرد تحية الصباح التي ألقتها عليه السكرتيرة.

لم تلاحظ جانيت ما يجري حولها، لأنها كانت منشغلة بعقدة معطفها الواقي من المطر. وراحت تتمتم متذمرة من الطقس في بريطانيا.

كانت جانيت في أواخر العشرينات، قصيرة القامة، تتمتع بحيوية ونشاط كبيرين، وتتميز بوجهها الطفولي الذي تزيّنه عينان بنيتان جميلتان، ويحيط به شعر أسود قصير. وكانت على علاقة وطيدة بميا.

قالت، بعد أن خلعت معطفها وعلقته:

ـ ألم يكن مجنوناً ذاك الذي قال: آه، ليتني في انكلترا، الآن وقد حلّ شهر نيسان؟. . . لابد أنه كان يقصد مكاناً أقل ضبابية.

ردت ميا، وهي تحاول أن تخفي اضطرابها:

ـ روبرت براونينغ، في كتابه «أفكار عن الوطن، من الغربة».

راحت جانيت تحلم وهي تقول: «الغربة. . . تراودني أحلام أخاذة عن اليونان أو جنوب ايطاليا. . . حيث الشمس الساطعة».

ـ لكننا شهدنا أيام مشمسة عدة.

ـ لقد فتحت هذه الأيام شهيتي على المزيد منها. . . آه، حسناً. . . إلى العمل. ما الأفراح التي ستهلّ علينا اليوم؟

ألقت نظره سريعة على جدول الاعمال وأضافت:

ـ هناك الكثير من العمل على ما يبدو. هل ستهتمين بموضوع. . .؟

فقالت ميا على الفور: «إني مضطرة للمغادرة. أخشى أنه عليك أن تبذلي قصارى جهدك».

سألتها جانيت، برصانتها المعهودة: «إن لم تعودي قبل الغداء، هل أطلب سندويشاً وألازم مكاني؟».

عندما غادرت ميا المبنى، وجدت أن المطر يتساقط بغزارة، وأن الهواء العاصف قد اشتد، وأمسى الطقس سيئاً للغاية.

أمالت مظلتها البنية، المزيّنة بورود برتقالية، لتتجنب زخات المطر، وتوجهت بنفس منقبضة وحزن وأسى نحو أقرب وكالة عمل.

جل ما أرادته هو ترك رايفيلد. ولو طلبت نقلها لتساءل والدها وويليم عن السبب، وآخر ما بمقدورها احتماله هو البقاء في مكان واحد مع فيليب.

لقد أحبته وآمنت به طويلاً، ورفعته إلى مقام عالٍ، لكن خيانته وغدره قطعا الروابط العاطفية التي جمعتهما كما تقطع المقصلة الرؤوس. وهي وحدها نزفت بعد البتر.

لم يخطر على بالها يوماً أنه يخدعهما معاً، هي ورودا، فيشارك الاخيرة فراشها ويحاول إقناع الثانية بالامر ذاته. كيف أمكنه ذلك؟

وقد تجاوز الحد حين أصّر على أنه يرفض التخلي عنها. ماذا يريد إذن؟ أيريد رودا زوجة له، وهي عشيقة، كما قال ثاندر دايفسون؟

وبعد حوالى الساعتين، غادرت الوكالة الثالثة وقد زاد احباطها ألف مرة عما كان عليه. سجلوا في الوكالات تفاصيل عن خبراتها، وأدرجوا اسمها وعنوانها في ملفاتهم. لكن أياً منها لم تتمكن من تقديم أيّ عمل يعجبها أو الأجر الذي تحتاجه لتحتفظ بشقتها.

شعرت وكأن إعصاراً مفاجئاً أطاح بحياتها، تاركاً إياها وسط الدمار. وبدا لها أنها ستفقد قريباً كل ما تملكه، فيليب وعملها ومسكنها. ولم تتخيّل نفسها تعود إلى منزل والدها الرحب والكئيب، ولم يكن هو ليرحب بعودتها. على أيّ حال، فقد تنفّس الصعداء حين اختارت أن تستقل عنه، بعد أن أنهت دراستها.

مرت بها سيارة مسرعة، فرشت ساقيها بالمياه الموحلة. راحت ترتجف، وقد فقدت الاحساس بكاحليها بسبب البرد القارس، وتحوّلت قدماها إلى قطعتي جليد.

وفيما كانت تنتظر لتقطع شارع اوكسفورد، كادت هبة رياح تنتزع مظلتها من يدها. فكافحت للمحافظة عليها، ونجحت في ذلك إلا أن كعب حذائها الرفيع علق في شق بين بلاط الرصيف وحافة الطريق.

وقبل أن تقوم بأي محاولة لتتخلص من الشرك الذي وقعت فيه، تبدّل ضوء اشارة المرور وبدأ الناس، الذين أزعجهم الحاجز الذي شكلته، يتجاوزونها. أما هي فراحت تشد من دون فائدة، وقد عرقلتها المظلة، فتمتمت: «اللعنة».

عندها سمعت صوتاً عميقاً مألوفاً، يملي عليها: «انزعي الحذاء من رجلك».

***

٣ ـ سأرحل . . .

التفتت ميا بلهفة، وقلبها تتسارع خفقاته، ومالت بمظلتها بشكل متهور.

فاطبقت يد على خصرها النحيل، وهمس لها صوت ساخر:

ـ لست في مأمن مع ما تحملين.

ردت عليه، وكأنها توجه إليه تهمة ما: «أنت مجدداً!».

فقال ثاندر دايفسون بصبر مبالغ فيه:

ـ بشحمه ولحمه. والآن، لم تتبلل وحسب بل أن سيارتي تسبب زحمة سير. لهذا، كوني فتاة عاقلة واخلعي حذاءك.

لم يكن لديها خيار آخر فاطاعته. ووقفت كطائر اللقلق على ساق واحدة، في حين انحنى هو لينتزع الحذاء العالق.

ـ ها قد نجحت.

تنهد تنهيدة ارتياح وألبسها حذاءها مجدداً. ثم، وقف وسيطر بقامته الفارعة عليها، وانتزع المظلة من يديها ليغلقها. بعدها، وضع يده تحت إبط ميا ليدفعها نحو سيارته المتوقفة في وسط الشارع. فتح باب السيارة وأمرها قائلاً: «اصعدي».

تراجعت ميا إلى الخلف، بعناد وقالت: «لا أريد أن أصعد. لا أريد شيئاً. . .».

أرغمها على الصعود إلى سيارة البورش، وأغلق الباب قائلاً:

ـ افعلي ما أقوله ولا تجادلي. ضعي حزام الأمان.

غمغمت بتمرد: «أيها الشيطان الديكتاتوري».

صفق بلسانه مستنكراً وقال لها:

ـ أهذه طريقة تتحدثين بها إلى منقذك؟ عليك أن تشكريني بلطف.

قطبت، وردّت باختصار: «شكراً لك».

ـ يا للروعة!

اصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل لأنها ادركت سوء تصرفاتها لكنه لم يعلق على الامر، بل نظر أمامه، وابتسم ابتسامة صغيرة وكأن شعورها بالذنب قد أراحه.

وفيما كان يتوجه نحو (مايفير)، سألته بحدة: «إلى اين تأخذني؟».

ابتسم لها ابتسامة عريضة، تحمل في طياتها ألف معنى ومعنى، وقال برقة:

ـ إلى أين برأيك؟ إلى قبوي وهناك سترين الوحش الذي سأكون عليه وأنا. . .

زادت كلماته من احمرار وجهها، وأحست بوخز في جلدها، فعضّت على شفتيها من فرط غيظها، إذ علمت أنه يسعى إلى إغضابها.

كانت معنوياتها في الحضيض، والحزن يتآكلها. لهذا، لم تشأ أن تواجه ثاندر دايفسون وتتجادل معه وبدا لها أنها لا تملك الخيار، فحيويته ونشاطه يجعلان من معارضته أشبه بالتجذيف عكس التيار.

وبعد دقائق، وصلا إلى منزل كبير من العهد الجيورجي في كرومبي سكوير، فترجلا من السيارة وأحاط خصرها بذراعه، وأسرعا نحو مدخل مسقوف هرباً من المطر المنهمر.

وحين دخلا إلى بهو مفروش بذوق رفيع، فيه درج عريض جميل، توجّهت نحوهما امرأة مسنة ترتدي ثوباً أزرق أنيق. فقال لها ثاندر:

ـ آه، سيدة روز، هل بإمكانك أن تحضري الغداء لي وللآنسة فيليدنغ.

فأجابت بأدب: «بالطبع يا سيدي».

تأبط ذراع ميا، ورافقها إلى غرفة عالية، متناسقة تزينها مدفأة كبيرة ونوافذ عريضة تطل على الساحة الهادئة. وبالرغم من فرشها المترف، بدت الغرفة مريحة، وقد ازدانت جدرانها بلقطات فوتوغرافية مجموعة من

الكتب. كما وزّعت فيها مزهريات جميلة وضعت فيها باقات التوليب والنرجس.

وعلى الفور شعرت ميا الحساسة والمرهفة وكأنها في منزلها أو كادت تفعل لولا وجود مضيفها المعكّر.

ـ دعني أساعدك.

ترافقت كلماته البريئة هذه مع ومضة في عينيه جعلتها ترتعش. حاولت ألا تظهر ما اعتراها، فحلت حزام معطفها وسمحت له بمساعدتها على خلعه.

وفيما كان يفعل ذلك، أمسك بخصلة من شعرها ولفها على أصبعه وكأنها سحرته. لم يكن شعرها خفيفاً وناعماً كشعر بعض الشقراوات، إنما كث وحريري الملمس. وكانت ميا تعتبره الشيء الاساسي والاهم في مظهرها.

ـ تعالي واجلسي قرب النار.

اقترح ذلك ثم رمى قطعتين من الخشب في النار المشتعلة في المدفأة، وحركها.

وعندما جلست على مقعد منخفض، توقف عن تحريك الجمر، وساعدها على خلع حذائها ووضعه على جنبه كي يجف. تملكها الارتباك حين أخذ إحدى قدميها ثم الاخرى بين راحتيه، وراح يفركهما ليعيد الحياة إليهما ويبث الدفء فيهما.

وجعلها هذا التصرف الغريب والحميم تشعر بأنها محبوبة ومدللة. لكن هذا الشعور لم يكن منطقياً بالطبع، فثاندر دايفسون لا يكنّ لها أيّ مشاعر حنونة ورقيقة، بل على العكس.

حين استقام وجلس إلى جانبها، تراجعت إلى الوراء واستندت إلى الوسادات الوثيرة، لتضع بينهما أكبر مسافة ممكنة.

سألها: «هل أنت بحاجة للانتقال إلى مقعد آخر؟».

فردت عليه: «هل أنت بحاجة للاقتراب مني إلى هذا الحد؟».

التمعت عيناه مرحاً وقال: «لماذا؟ هل ازعجك؟».

كان الجواب الصادق على سؤاله هو الايجاب، فقد أحست بأنها مهددة. لكنها اختارت أن تتجاهل السؤال وأن تبسط راحتيها أمام النار وتسأله بدورها:

ـ قيل لي إنك كنت تعيش في هونغ كونغ؟

ـ نعم، بقيت هناك خمس سنوات تقريباً، اهتممت خلالها بصفقات المصرف في الشرق الاقصى.

فسألته، يحدوها الامل: «وهل ستعود إلى هناك؟».

هز رأسه، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة حين قال:

ـ آسف، لقد عدت إلى الوطن لأبقى فيه.

ـ أتعيش هنا وحدك؟

جاء سؤالها عفوياً، وندمت على طرحه على الفور إذ ومضت عيناه، ورد قائلاً:

ـ نعم، في الوقت الحاضر.

فأضافت على عجل: «أعني أنّ المنزل كبير بالنسبة لشخص واحد فقط».

ـ كبير جداً. لكنه بيت العائلة، لهذا تجدني مولعاً به.

ـ ألم يبق لديك أي عائلة؟

ـ لا، توفي أبي مؤخراً؛ لهذا عدت إلى الوطن... كما أنّ أمي قتلت في حادث تحطم طائرة منذ ست سنوات. تأثر ويليم تأثراً بالغاً بوفاتها لأنها كانت اخته المفضلة بالرغم من أنهما لم يربا بعضهما كثيراً بعد زواجهما. كما لم يتمكن أبي من تجاوز هذه المحنة، فدفن نفسه في العمل لينسى. وعاش عملياً في المصرف لئلا يعود إلى هذا المنزل الكبير الفارغ.

مدّ ثاندر ساقيه الطويلتين بتكاسل، وراح يتأمل وجه ميا وهو يقول:

ـ بعد زواجنا، يمكننا أن نبيعه وأن نشتري منزلاً آخر أصغر تسهل إدارته.

تجاهلت ملاحظته ونظراته عمداً، وحدّقت في اللهب المتصاعد وهي تتخيل المنزل الريفي الذي لطالما حلمت به.

ـ لعلك تفضلين العيش في الريف؟

التفتت إليه ميا مدهوشة، واستغربت كيف يتمكن أحياناً من قراءة أفكارها بسهولة، لكنها لم تنطق ببنت شفة. وما لبث أن غيّر الحديث، وسألها بهدوء:

ـ متى ستتركين شركة رايفيلد؟

ـ كيف عرفت أني أخطط لتركها؟

ـ رأيتك تخرجين من وكالة عمل.

ثم رمقها بنظرة وأضاف: «لا أعلم بأي طريقة تنتقل امرأة مثلك».

فكررت ببرودة ما سبق أن قالته:

ـ أنت لا تعرف أي نوع من النساء أنا. . . أنت لا تعرفني البتة.

ـ لكني أنوي ذلك.

تحرك بسرعة، وأخذ وجهها بين يديه الطويلتين، الجميلتين ثم راحت أصابعه تنقر بنعومة على وجنتيها، وهمس لها بصوت أبح:

ـ أنوي أن اكتشفك روحاً وجسداً، أن أعرف كل شيء عنك. . . ما الذي يضحكك، وما الذي يبكيك، كيف تفكرين، وماذا تشعرين، وكيف تبدين حين تنامين. . .

كانت مشدوهة، مسحورة، تنظر إلى ذاك الوجه الجذاب وتنتظر منه أن يعانقها. وحين فعل، أصدرت أنيناً خافتاً، وأطبقت جفنيها الثقيلين، وراحت ترتعش.

سمعت طرقة خفيفة على الباب، دخلت على إثرها مديره المنزل قائلة:

ـ أحضرت لكما حساءً، وسندويشات وقهوة، هل تريد شيئاً آخر يا سيدي؟

ـ شكراً لك، يا سيدة روز.

بدا ثاندر هادئاً مرتاحاً، كما لو كانا يتحدثان عن الطقس أو عن أي موضوع تافه. أما ميا فاحنت رأسها، لتخفي حمرة الخجل التي زحفت بسرعة إلى وجهها. لكن، ولحسن حظها، وضعت المرأة ما كانت تحمله على الطاولة وخرجت من دون أن تلتفت اليها.

التقط ثاندر الوعاء، وسكب الحساء لهما، وهو يقول ساخراً: «لا تنزعجي وتتكدري هكذا، فلطالما كانت السيدة روزا كتومة».

فردت ميا بمراره: «أتصور أنها مضطرة لذلك».

تجنبت النظر إليه، ونشرت المحرمة البيضاء على ركبتها، ثم وضعت صحن الحساء عليهما، وراحت ترتشفه. كان حساء الخضر والمعكرونة لذيذ الطعم، كثيفاً ومغذياً.

أكلا بصمت لبعض الوقت. ثم قال بلهجة لا تخلو من السخرية: «إن تركك رايفيلد تصرف ذكي، أهي فكرتك؟ أم لعل مياشيم يرى أن بإمكانكما الاستمرار بعلاقتكما بسهولة أكبر في ما لو بدا أنك قطعت أي اتصال به؟».

أطبقت ميا أسنانها بغضب وغيظ، وقاومت محاولته لإثارة أعصابها والتسبب بشجار بينهما. وحين لم تحرك ساكناً، أكمل ثاندر كلامه قائلاً:

ـ لمَ لم تقولي له إن علاقتكما انتهت، وإنك ستصبحين زوجتي؟

سحبت نفساً عميقاً وطويلاً ثم قالت: «لست جاداً في الارتباط بامرأة تزدريها، من أجل مصلحة قريبتك وحسب!».

ـ لن أفعل ذلك من أجل مصلحة رودا فقط فأنا أحتاج لزوجة.

قدّم لميا سندويشاً قبل أن يضيف: «أسس جدي مصرف دايفسون لادني التجاري في أوائل العام ١٩٠٠. كان العجوز محافظاً، واتبع أبي النمط نفسه. كان موقفه ازاء البيت والعائلة تقليدياً للغاية، ولطالما اعترض على أخلاقيات هذا الجيل المنحلة. وكي استلم زمام الامور، ووفقاً لوصية أبي، عليّ أن أكون متزوجاً».

ثم أكمل بتهكم: «هناك الكثير من النساء الجميلات. لكن، لا يعوّض الوجه الحسن، بالنسبة لي، عن الرأس الفارغ. وانت تملكين العقل والجمال الذي أبحث عنه، بالرغم من أن أخلاقك ليست الاخلاق الحميدة التي أنشد ولكن إذا عاملتك بشكل حازم، فستصبحين مطابقة للمواصفات. . .».

لو استثنينا الإشارة إلى أخلاقها، لأحست ميا بالاطراء من كلامه، لكنه أضاف الجملة الأخيرة التي دمرت كل شيء.

www.elromancia.com

ابتلعت اللقمة الاخيرة، وحاولت أن تضبط حنقها وقالت بصوت عذب: «إن كان الجمال شرطاً أساسياً فإنا غير مطابقة للمواصفات، كما قلت.

ردّ من دون تأثر: «إن الرأي رأيي».

قامت بمحاولة جديدة وقالت: «لكن لا يمكنك أن تتزوج بهذه الطريقة، وبهذه البرودة».

فأكد لها ثاندر، بصوت يحمل معانٍ خفية: «لن يكون زواجاً بارداً، أؤكد لك. أنا واثق من أن علاقتنا كزوج وزوجة ستفيض حرارة».

هزّت رأسها قائلة: «لن أصبح زوجتك».

ـ لا تملكين الخيار.

رمت المحرمة أرضاً بوقاحة وردت: «بل أملك الخيار فلن تجبرني على الزواج بك».

ـ لا تراهني على ذلك.

اقشعر بدنها لفرط ثقته بنفسه وسألته: «ماذا تعني؟».

ـ سأسافر إلى امستردام الليلة. لكني سأقابل أباك قبل أن أغادر، لنناقش مسألة مالية خاصة.

رفعت ميا عينيها الرماديتين الخائفتين نحو وجهه وانتظرت أن يكمل الحديث، فأضاف: «أتذكرين حين طرحت شركة بانوس للأدوية أسهمها للبيع؟ رفض ويليم أن يشتري، لكن جايمس اقترض مبالغ طائلة من المصرف واشترى الكثير من الاسهم. وفجأة، أفلست الشركة، ففقدت الأسهم قيمتها بين ليلة وضحاها».

تذكرت ميا انهيار المؤسسة، غير أنها تجهل تورط أبيها في الصفقة. وفي هذه الفترة بالذات، تعرض جايمس لأزمته القلبية... تمالكت اعصابها وسألته ببطء: «أتعني أن أبي يدين لك بالمال؟».

ـ أعني أنّ بامكاني أن أفلسه.

أحال الغضب والذعر لون عينيها إلى سواد حالك، وصرخت: «هذا ابتزاز!».

هز كتفيه استخفافاً وقال: «فلنسمّه إقناعاً ودياً، قطعت وعداً لرودا وسأفي به بأي وسيلة».

فكرت ميا المنفعلة بطريقة للخلاص واقترحت عليه: «اسمع، ما رأيك لو تركت رايفيلد نهائياً؟».

ـ هذا ما ستفعلينه على أي حال. إلا أنني لا أضمن أن تفي بوعدك، كما أشرت أنت شخصياً. هل نسيت أني أحتاج لزوجة؟

جاهدت ميا لتحافظ على هدوئها، فحدقت مجدداً في النار المستعرة، ثم رنت إليه بطرف عينها تتأمل تقاطيع وجهه الجانبية، أنفه الصغير المستقيم، ورموشه الطويلة، وعظام وجنته العالية وذقنه المستدير.

ـ ماذا عن صديقتك؟ فهي تتمتع بالمواصفات التي ذكرتها.

سألته ذاك السؤال بطريقة جافة فأجابها:

ـ أحتاج لزوجة يمكنني أن أتحدث اليها. امرأة يمكنها أن تقاسمني حياتي وفراشي. جاكلين ذكية، لكنها مستقلة للغاية، تهتم كثيراً بنفسها وبمهنتها لذا لا يمكنها أن تكون زوجة صالحة لأحد.

عندها، سألته ميا هازئة: «أتريدني أنا كزوجة وهي كعشيقة؟».

فهزّ ثاندر رأسه وقال: «تكفيني امرأة واحدة راغبة».

ـ لكني لست راغبة.

مال نحوها وسألها برقة، ملمحاً إلى ردة فعلها: «ألست كذلك؟».

أحسّت ميا بحرارة غريبة تسري في كيانها وترتفع إلى وجنتيها، فقالت بسرعة: «هناك الكثير من النساء الراغبات اللواتي يتمنين الزواج بك».

ـ لا أريد الكثير من النساء... أريدك انت.

أمسك بذقنها، وأدار وجهها نحوه، ثم راح ينظر بعينيه الخضراوين في عينيها:

ـ أريدك أكثر مما أردت يوماً امرأة ما، وسأحصل عليك.

أحست بدوار في رأسها وبنار تشتعل في شرايينها من وقع كلماته، وعمق نظراته.

لكنه، ما لبث أن استوى بجلسته، ونظر إلى ساعته، ليقول ببرودة:

«للأسف، لدي موعد عند الساعة الثانية والنصف. أيمكنك سكب القهوة؟».

حاولت أن تبدو هادئة، فأخذت الابريق الاسود والذهبي وسألته: «كيف تحب قهوتك؟».

ابتسم ابتسامة عريضة كسولة وردّ: «ساخنة، قوية وحلوة، مثل حبي».

وتمنت لو لم تسأله. وما أن انتهيا من شرب القهوة حتى وضع فنجانه، وقال لها بسخرية مازحة:

ـ سأبقى في امستردام حتى يوم الجمعة، لهذا ستكونين حرة لبضعة أيام.

اختارت أن تتجاهل تحرّشه هذا، ومحاولته إثارة انزعاجها، فتمتم برفق: «والآن، إلى أين أوصلك؟ أذاهبة أنت إلى المنزل؟»

ـ أيمكنك أن توصلني إلى المكتب؟

ما أن لفظت سؤالها حتى رمقها بنظرة أحدّ من نصل السيف، فسارعت تبرر له موقفها: «لن أطيل البقاء هناك. علي أن أقدّم استقالتي وأن أرتّبَ مكتبي».

وقبل أن يبتعد عنها، لمحت في عينيه المثقلتي الاهداب، والجميلتين نظرة انتصار، وكأنها أعلنت بكلماتها هذه استسلامها. وفيما صعد إلى الطابق العلوي ليأتي بحقيبته، انتعلت ميا حذاءها، وأخذت معطفها ووشاحها عن الكرسي الذي تركتهما عليه.

وبعد دقائق، صعدت إلى السيارة إلى جانب ثاندر الذي انحنى نحوها ليحكم وضع حزام الأمان لها.

بدا كأن المطر المنهمر على نوافذ السيارة يعزلهما في عالم صغير خاص بهما، وشعورها بهذا الانعزال دفع القشعريرة إلى كيانها، خاصة حين اقترب منها ولمست يده رجلها.

أحس برِدة فعلها اللاارادية، فسألها: «أتشعرين بالبرد؟».

ردت، وقد اكتسى وجهها قناعاً هادئاً، وارتسمت في عينيها

الخضراوين نظرة صافية: «لا، اشكرك».

وكأنه كره أن يراها بهذا الهدوء الظاهر، فالتمعت عيناه بنظرة شيطانية وانحنى نحوها ليرفع خصلة شعر لامعة ويثبتها وراء أذنها. ودّت ميا لو تبتعد، لكنها عجزت عن ذلك، فجلست جامدة وكأنها تمثال من الرخام، في حين تحرك اصبعه برفق ليتلمّس رسم فمها الجذاب، قبل أن ينزلق ليداعب نبضها المتسارع في أسفل عنقها.

كان وجهه المسمر على بعد أنامل منها، فراحت تتنشق رائحة عطره الاخاذة. وحدّقت كالمسحورة في هذا الوجه الوسيم ولم تقو على إبعاد ناظريها عن عينيه اللتين كانتا تسبران أغوارها.

سمعت صوته العميق الساحر يهمس لها:

ـ عانقيني! تعلمين أن هذا ما تريدينه.

علقت أنفاسها في حنجرتها، وحاولت أن تهز رأسها لتنفي هذا الانجذاب المهلك إلا أنه انحنى يعانقها برفق، فاستسلمت لمشاعرها، وأسبلت أهدابها، وغرقت في بحر من الحب، تمنت ألا ينتشلها منه، لكنه تراجع فجأة وتركها من دون أن يروي ظمأها.

عيناها انفتحتا بعنف حين أدار المحركات القوية منطلقاً بالسيارة مسرعاً، فأحست بالغضب يتآكلها وشعرت بأنها غبية بالكامل. إذ ساءها أن يتلاعب بها وأن تفضح مدى تأثيره فيها، فما كان منها إلا أن راحت تحدق عبر الشباك المغطى بالمطر.

ساد صمت مطبق للحظات، لم يقطعه سوى صوت المسّاحات. لكن ثاندر كسر حاجز الصمت هذا ليقول: «سأتخذ التدابير اللازمة، قبل أن أسافر إلى امستردام لأحصل على إذن خاص، فنتزوج عند عودتي».

قطع الذعر أنفاسها، وتصلبت أوصالها، في حين راحت الافكار تتسارع في ذهنها. لن تسمح له بابتزازها لتغدو زوجته، لكن ما هي خياراتها الاخرى؟ فها هو يضغط عليها وإن بلطف، واذا ما رفضت الزواج به فقد يعمل على تدمير حياة أبيها.

قال لها ساخراً: «لا تظهري هذا الذهول كله! لن تجدي صعوبة في

www.elromancia.com

العيش معي لا سيما وأنك ترغبين فيّ بهذا القدر».

إنه محق، اللعنة عليه! فهي تريده حقاً. . . وكلما نظرت إليه، اشتعلت في أحشائها نار التهمتها وتركتها تتخبط لتدرك كنه مشاعرها.

لكن، كيف لها أن تريده بهذا القدر، وقد كانت حياتها كلها حتى هذا الصباح تدور في فلك رجل آخر؟

لم يكن الامر منطقياً، ولم تتمكن من شرحه، إلا أنها كانت واثقة من مشاعرها. فقد سيطر ثاندر على حواسها، وجعل محاولات المقاومة غير مجدية. وحين أقرت بالحقيقة لنفسها، أدركت أنها لو أحبته هو لما صمدت أمامه كما فعلت مع فيليب.

حاولت أن تحلل مشاعرها نحو فيليب منطقياً. وتساءلت للمرة الاولى، عما إذا كان ما جمعها به هو الحب؟

كانت تريد، لا بل تحتاج لأن تُحِب وأن تُحَب؛ لكن ألم تخدع نفسها في الحالتين؟ ألم يكن شعورها نحوه نوعاً من التبعية، أو التبجيل الممزوج بالامتنان؟ في حين كان «حبه» لها تشويهاً لتلك الكلمة ومعناها. . .

توقفت السيارة أمام مبنى الشركة فترجل ثاندر منها ليفتح لها الباب، متجاهلاً المطر الذي بلل شعره الاسود وبذلته الرمادية الانيقة. فتح مظلته ورفعها فوق رأسها ليجنّبها زخات المطر، ثم حذّرها قائلاً: «ليكن الوداع الاخير. وحاولي ألاّ تظهري تأثرك! سأساعدك على نسيان مياشيم حالما نتزوج».

فردّت ميا، وقد أغاظتها لهجته الواثقة: «ومن قال لك إني أريد أن أنساه؟».

أطبق ثاندر شفتيه، ثم قال باقتضاب: «سأتصل بك من امستردام».

وركب السيارة مجدداً، وانطلق بها وابتعد.

وقفت على الرصيف، تحدق في السيارة البيضاء المسرعة، وهي تشعر بالندم على افتراقهما بهذه الطريقة. فقد ودت ألا يفترقا بعد شجار، بالرغم من كل ما جرى.

وفجأة، هبّت رياح عاصفة كادت تقتلع المظلة من يدها، فاستجمعت

قواها، واستدارت لتسرع نحو المبنى.

وصلت إلى مكتب المبيعات، فوجدته فارغاً وباب المكتب الداخلي مقفلاً. خلعت معطفها، وجلست إلى مكتبها لتطبع استقالتها. لم تشرح الاسباب إنما اكتفت بالإشارة إلى أنها ستترك الشركة فوراً.

وما أن طوت الورقة ووضعتها في مغلف، حتى دخلت جانيت وهي تحمل كتيباً كانت تنسخه.

صرخت الفتاة حين رأتها: «آه، لقد عدت! سأل عنك فيليب أكثر من مرة. كان مستاءً لغيابك».

فقالت ميا بصوت منخفض: «آه. . . هل هو. . .؟».

ـ خرج هو أيضاً. سيغيب حتى الساعة الرابعة بعد الظهر.

تنفست الصعداء، إذ لم تشأ أن تواجه فيليب مجدداً، فلم يبقَ لديها ما تقوله.

تأملتها عينا جانيت الفضوليتان، وقالت لها: «تبدين منزعجة. هل من خطب ما؟».

ـ سأترك رايفيلد.

ـ تتركين! متى؟

بدت الفتاة الاخرى مصدومة، فردت عليها ميا بتصميم:

ـ في الحال، آسفة لأني سأترك لك كافة الامور، لكني. . .

ترددت، وهي تتساءل عن التفسير المنطقي الذي ستعطيه لتخرج من مأزقها.

فقطبت جانيت جبينها، وقالت: «لا عجب أن فيليب مستاء! لكن، لعلك اتخذت القرار الصائب فما من مستقبل لعلاقة تربطك برجل لا يمكنه أن يبادلك الحب. . .».

زحف الاحمرار إلى وجهها النحيل، حين توقفت فجأة عن الكلام ثم راحت تتمتم: «أنا. . . أنا آسفة. ما كان عليّ أن أتكلم. لم أقصد. . . آه، اللعنة! إني أزيد الطين بلة».

بقيت ميا واجمة ثم سألتها بعد لحظات: «أكان الامر جلياً إلى هذه

الدرجة؟».

ـ لا... حسناً، نعم...

تنهدت جانيت، وتمالكت نفسها لتقول بتأنٍ: «لم أعنِ أنّ الامر كان واضحاً للجميع. في الواقع، أظن إن ما من أحد يعلم أو حتىّ يشتبه بالامر. فلو عرف أحدهم، لكثر الكلام عن الموضوع! لكن، في أحد الايام، كان فيليب واقفاً قرب مكتبك، فرفعت رأسي ولاحظت نظراتكما. أنا آسفة.. كان عليّ أن أضبط لساني وألاّ أزعجك أكثر...».

فقالت ميا بحزم، بعد أن لاحظت قلق الفتاة: «لم تزعجيني. ما كان بيني وبين فيليب قد انتهى نهائياً».

ـ أعليك أن تتركي العمل؟

ـ أريد ذلك.

ـ لكن، يمكنك أن تنتقلي إلى قسم آخر بدلاً من ترك عملك؟

هزت ميا رأسها وردّت: «أفضّل الرحيل، فهذا أسهل للجميع... لم تكوني الوحيدة التي اكتشفت الامر، فرودا على علم به».

ـ آه، يا إلهي! هل فسخا الخطبة؟

ـ لا، ستتزوج هي وفيليب قريباً، في غضون أسابيع.

ـ آه، حسناً.

يبدو أن جانيت افترضت أنّ هذا هو سبب رحيلها، فأضافت والاهتمام بادٍ في صوتها: «يصعب العثور على وظائف جيدة في أيامنا هذه، فهل لديك مشاريع معينة؟».

ـ لا.

وسمعت ميا نفسها تضيف: «لكنني لن احتاج للعمل فقد أتزوج قريباً أنا أيضاً!».

ـ تتزوجين! أقلتِ تتزوجين؟

ندمت ميا لإفصاحها عن الموضوع، لكن الأوان كان قد فات، فقالت: «نعم. أنا...».

برقت عينا جانيت البنيتان حماساً وفضولاً، فحثتها على الكلام:

ـ هيا، لا تتركيني متشوقة، أخبريني من هو العريس.

فاعترفت ميا ببطء: «ثاندر دايفسون».

صفرت جانيت استحساناً وقالت: «يا لك من محظوظة! لطالما اعتقدت أنه يميل إليك، فكلما دخل المكتب لا يحيد عينيه عنك لكني لم أتوقع... أعني أن الامر مفاجيء. لم أكن أعلم أنك تعرفينه جيداً. متى احتدمت الامور؟».

ـ كان في حفلة رودا يوم السبت، وأوصلني إلى المنزل...

وحين لاحظت أن جانيت تتوقع منها مزيداً من التفاصيل، أكملت ميا حديثها رغماً عنها:

ـ ثم اتصل بي في اليوم التالي.

زادت لهفة الفتاة الأخرى: «أخبرني المزيد، ما لم تكن اسرار دولة. متى طلب منك الزواج؟».

وتساءلت ميا عمّا ستقوله جانيت لو عرفت الحقيقة، وأنه لم يطلب منها الزواج بل ابتزها لتنصاع لأوامره. حاولت أن تبدو رابطة الجأش، وهي تروي بتصرّف تفاصيل الأحداث التي مرت بها. ثم أنهت حديثها قائلة: «لكن لم يتسنَ لي الوقت لأفكر».

ـ وبمَ ستفكرين؟ إلا إذا كنت على غرامك بفيليب باقية؟ آسفة، انسي السؤال الذي طرحته.

ـ لا، لم أعد مغرمة بفيليب. ولست واثقة من أني كنت مغرمة به يوماً.

أدركت ميا أن ما قالته هو الحقيقة المجردة، وها هي تعترف بها علناً للمرة الاولى.

ـ حسناً، أنا سعيدة من أجلك. فثاندر دايفسون أفضل بكثير من.. ها أناذا أكثر الكلام من جديد! يبدو أن اليوم يومي... على أي حال، إن احتجت لأشبينة، أعلميني. فأنا أتمتع بالخبرة اللازمة، تدربت يوم تزوجت أختي منذ شهرين، إن كنت تذكرين.

ـ نعم، أنا...

ـ ومتى سيكون اليوم المعهود؟

ـ ثا . . . ثاندر . . .

تلعثمت ميا، وهي تتلفظ اسمه، ثم اكملت: «قال إنه سيحصل على إذن خاص كي تتزوج حالما يعود من أمستردام بعد أيام».

علقت جانيت موافقة: «هذا رجل يعرف ما يريد. وهذا رأيي به منذ البداية».

ثم التفتت نحو الساعة وقالت: «إذ لم أعمل حالاً فسأضطر للبحث عن عمل آخر!».

وفيما انكبت جانيت على عملها، فتحت ميا أدراج مكتبها، وجمعت أغراضها الشخصية. بعد ذلك، وضعت كتاب استقالتها على مكتب فيليب، وحملت معطفها. رفعت جانيت عينيها عن عملها، وسألتها بتردد:

ـ هل فيليب . . . ؟ أعني، هل قلت . . . ؟

ـ قلت له إني سأرحل. لكنه لا يعرف أي شيء آخر.

احتفظت جانيت بافكارها لنفسها، وقالت بعد لحظات: «سأفتقدك. لا تنسي أن تتصلي بي».

ـ لن أنسى.

تركت ميّا المبنى على عجل من دون أن تودع الآخرين، خوفاً من مواجهة الأسئلة التي ستطرح عليها بشأن قرارها المفاجىء هذا.

لاحظت أنَّ حدّة المطر والهواء قد خفت، لكن سماء شهر نيسان بقيت غائمة مضطربة كطفل مشاكس. اعتادت ميا أن تمشي لتصفي ذهنها وتتمكن من التفكير بسهولة، لكنها لم تفلح هذه المرة إذ كانت تحسّ باضطراب عميق وبدوار من فرط تسارع الاحداث التي شهدتها.

أخيراً أصابها صداع خفيف في رأسها، فحاولت أن تدفع بعيداً أفكارها المشوشة. يجب أن تكفَّ عن التفكير، وأن تنتظر حتى تستريح وتستعيد هدوءها، قبل أن تقوم بأي جهد لتنظيم حياتها ومشاعرها.

* * *

٤ ـ العروس المجهولة

ذاك المساء، وقرابة الساعة التاسعة والنصف، وفيما كانت ميا جالسة قبالة جهاز التدفئة، تحاول تركيز افكارها على الكتاب الذي حملته بين يديها، سمعت طرقاً على الباب. فترددت إذ خشيت أن يكون فيليب.

لكن عقلها حذّثها على الفور بأنها مخطئة. فلا بد أنه أدرك أنها لم تغير رأيها، ولن تعود عن قرارها بالرحيل، كما أن فيليب يكره المشاحنات والشجارات. وبما أن رودا تريدها أن تترك العمل معه، فهو لن يخالفها.

فتحت الباب، لتجد تريفور يقف على عتبته. كان يرتدي سروالاً فاتح اللون، وسترة صفراء تبدو منها عظام مرفقيه نائتة.

قال لها: «اتصال هاتفي لك. وهل يمكنك أن تقرضيني قطعة نقدية؟».

فأمسكت حقيبتها وناولته ما طلبه. شكرها قائلاً: «شكراً. أنت رائعة!».

تأكدت من أنها تحمل مفتاحها، وتبعته على السلم اللولبي ومن ثم الى بهو المبنى. كان الهاتف في آخر البهو الخالي من الأثاث، وسمّاعته مفتوحة.

رفعت السماعة وقالت بحذر: «آلو؟».

فتناهي الى سمعها صوت ثاندر العميق والمثير يسألها: «هل اشتقت اليّ؟».

راح قلبها يخفق بسرعة، لكنها أجابت ببرودة، وقد اغضبتها ثقته بنفسه: «من المتكلم؟».

ضحك وعلق بإعجاب: «أيتها الشقية!».

ثم أضاف بسرعة: «ليس لديّ الكثير من الوقت، لهذا كوني فتاة عاقلة واسمعيني. اتخذت كافة الإجراءات لأحصل على إذن خاص. سيزوّجنا الأب بيتر جنكينز في الساعة الثانية عشرة من يوم السبت في كنيسة القديس جيل».

اعترضت بعجز: «إنك تسرّع الأمور كثيراً. أحتاج لمزيد من الوقت».

فقال برصانة، وهو يتعمد إساءة فهم ما رمت إليه: «أنت لا تعملين الآن، وأربعة أيام فترة كافية للتبضّع. اقصدي متاجر هارودز. يمكنك أن تشتري ما تحتاجينه للزفاف فضلاً عن جهازك على حسابي».

وكانت تجهل نوع الزفاف الذي يحضر له، فتلعثمت قائلة: «لكن... لكن ماذا تريدني أن أشتري؟ بذلة أو...؟».

وتنبهت، بعدما طرحت سؤالها، إلى أنها في لاوعيها على الاقل، قد قررت المضي في مشروعهما.

ـ يجب أن نراعي الأصول، اشتري فستاناً أبيض وخماراً والتوابع كلها. حتى وإن بدت هذه الامور غير ملائمة في وضعك.

شعرت بلذعة الاحتقار البالغ في صوته وهو يكمل قائلاً: «تكلمت مع والدك، وقد وافق على زواجنا لكنه تفاجأ من اتخاذنا هذا القرار السريع. إذا أردت التحدث إليه بنفسك، فعليك أن تفعلي الليلة، فهو مسافر في الغد الباكر في رحلة عمل ولن يعود قبل مساء يوم الجمعة».

وأضاف: «هل لديك صديقة لتكون إشبينتك؟».

ـ جانيت... جانيت رانشو.

ـ آه، نعم... اصطحبيها معك لتشتري ما تحتاجينه وأرسلي كل ما تشترينه إلى كرومبي سكوير. إذ ستغادرين الى الكنيسة من هناك.

ـ لكن، أنا...

ـ هناك أمر أخير، ألديك جواز سفر صالح؟

ـ نعم، أنا...

ـ حسناً، تأكدي من أنه في متناول اليد. ميا، أنفقي ما تشائين فميزانية المصرف ستتحمل ذلك. إنتبهي لنفسك، سأتصل بك لاحقاً.

وقبل أن تتمكن من الرد، سمعت طقطقة وانقطع الخط. أحست وكأن محدلة دهستها، فتسمرت للحظة طويلة قبل أن تقفل السماعة، ثم بحثت في محفظتها عن نقود معدنية وطلبت رقم والدها.

لطالما كانت علاقتهما صعبة وبالرغم من محاولات ميا الجادة والمتكررة، لم يتمكنا يوماً من التواصل لكنه الآن سيرغب بالاستفسار عن زواجها وأسباب التسرع...

إلا أنه لم يفعل، وتلاشى أي خوف لديها من أن يطرح عليها أسئلة محرجة.

سألها بحدة: «أفترض أنك تعرفين ما تفعلينه؟ فرجل كثاندر دايفسون محاط بالنساء الجميلات، ويصعب الاحتفاظ به. لقد حاولت رودا ذلك ولم تفلح».

تفاجأت ميا وسألته: «رودا؟ أتعني أنها كانت تحبه؟».

ـ أخبرني ويليم أنها كانت مجنونة بحبه منذ سنوات ويبدو أنه حبّ من طرف واحد؛ طرفها هي. وانتهت القضية أخيراً حين انتقل إلى هونغ كونغ، فاختارت عندها مياشيم.

سعل جايمس ثم أضاف قائلاً: «أشعر أنك الفتاة غير المناسبة لرجل كدايفسون لكن إذا كان مستعداً للزواج بك...».

بدا جلياً أن زواجهما المفاجىء قد ترك انطباعاً خاطئاً لدى والدها وهذا ما سبب جرحاً عميقاً لها، فتساءلت عما سيكون رأيه لو أخبرته الحقيقة. لكنها لم تقدم على ذلك بالتأكيد، بل قالت له: «ليس مضطراً للزواج بي فأنا لست حاملاً، إذا كان هذا ما تعتقده».

سكت جايمس وكأنه يعلمها أنه سينتظر ليرى ثم أقفل السماعة.

وراحت ميا تتساءل، في طريق عودتها الى شقتها عمّا إذا تورط ثاندر في علاقة مع رودا في الماضي؟ وهل اهتمامه بقريبته، وتصميمه على ألاّ تخسر فيليب نابع من شعوره بالذنب لأنه رحل إلى هونغ كونغ وتركها؟

قضت ميا ليلة قلقة، فاستفاقت متأخرة وقد انتابها شعور غريب وكأنها في حلم. حضرت قهوتها، وهي تشعر بأنها أشبه بممثلة تتحضر لدور جديد

www.dreamromance.com

ستلعبه ثم اتصلت بجانيت تسألها: «هل يمكنك أن تغادري المكتب قليلاً عند الغداء؟».

ـ نعم، إذا طلبت من تيسا أو إحدى الفتيات أن تحل مكاني. أين ومتى التقيك؟

ـ في هارودز، في الثانية عشرة والنصف.

فاستفهمت جانيت قائلة: «وما خطب المقهى القريب من المكتب؟».

ردّت ميا: «إنه لا يبيع فساتين لإشبينة العروس».

وصلت جانيت مبكرة، تتزاحم على شفتيها الأسئلة وتمكّنت ميا من الرد على معظمها وهما تشقان طريقهما نحو الجناح المخصص للعرائس.

وفيما الشعور بالحلم لا يزال يتملكها، اختارت فستان زفاف عاجي اللون من الحرير الخالص. بدا الفستان مناسباً لها، رائعاً ورومنسياً بتنورته الواسعة التي تصدر حفيفاً كلما تحركت، واختارت له خماراً يصل إلى كتفيها ويثبت على رأسها بتاج من اللؤلؤ.

بعد ذلك، جاء دور جانيت، فانتقت فستاناً جميلاً وردي اللون، وحذاء وحقيبة مناسبين له.

وما أن انتهتا من هذه المهمة حتى توجهتا نحو المقهى، فانقضّت جانيت على سلطة القريدس التي اختارتها، وهي تقول: «هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟ لاحظت أن ثاندر معجب بك، لكن لطالما بدا عليك أنك تتجنبينه، فلماذا غيّرت رأيك؟».

ردّت ميا، وهي تحاول أن تمزح: «ألم يخطر ببالك يوماً أنني قد أتزوجه من أجل ماله؟».

شخرت جانيت، وقالت: «أرجوك! أعرفك أفضل من ذلك. حتى أيام قليلة خلت، كنت تكرهينه، أم لعل ذلك مجرّد دفاع عن النفس».

فقالت لها ميا بجفاء: «فضولك يتزايد».

ـ حسناً، يسّرني ما آلت إليه الأمور. لم أحبذ رؤيتك تضيعين حياتك على رجل غير حر.

ثم تركت قطعة القريدس اللذيذة الأخيرة وأضافت: «ما هي مشاريعكم

للبوم المختار؟».

كررت ميا المعلومات القليلة التي زوّدها بها ثاندر، ثم أضافت: «لن أعرف المزيد حتى يتصل بي ثاندر مجدداً».

وحين أسرعت جانيت عائدة الى المكتب مكرهة، راحت ميا تتبضع أغراضها الأخرى. وبما أنها ستصبح زوجة ثاندر قررت أن تظهر بالشكل اللائق المناسب لرجل مثله، فاختارت مجموعة جديدة من الملابس، وأنفقت بتهور... وحين فكرت لاحقاً في ما انفقته صدمت حقاً.

اختارت ثلاثة فساتين وتنانير عدة وكنزات تتناسب مع السترات. وتذكرت أن ثاندر سألها عن جواز سفرها، فاشترت بذلة مميزة للرحلات مع الكماليات المناسبة.

وفي قسم الملابس الداخلية، تصرفت ميا بطيش فلطالما أحبت الملابس الداخلية الجميلة، وملمس الحرير على جلدها. لهذا، اختارت مجموعة من أجمل الملابس الرقيقة الناعمة المعروضة.

وعرضت عليها البائعة بشيء من الاحترام، قميص نوم رقيقاً وعباءة ملائمة، رائعين وناعمين كشبكة العنكبوت، واقترحت عليها:

ـ إذا كنت تشترين جهاز عرسك...؟

ترددت ميا قليلاً، وهي تتأمل بياض الثوب الناصع، ثم قالت وهي تلهث: «سأشتريه».

فكرت بتحدٍ أن ثاندر الذي سيسخر من خيارها هذا، سيتبين خطأه لاحقاً.

وفجأة، عنّت على بالها فكرة، ترى هل سيخيب أمله عندما يكتشف عذريتها؟ فهو يتوقع امرأة ذات تجربة قادرة على إرضائه، ووجدت نفسها ترجو ألاّ يأسف على خياره.

شكّل رجوعها إلى سريرها الفارغ بعد الظهر، هبوطاً من عالم الاحلام إلى عالم الواقع. وبعد أن وصلت إلى هذا الحد، ودت لو يمضي الوقت بسرعة لتنتهي من هذا كله... لكن بدا وكأن حياتها قد توقفت عند نقطة معينة وعلقت عندها، ولم يعد أمامها سوى أن تنتظر رجوعه.

ولم يعد قبل مساء يوم الجمعة .

وبعد ليالٍ من الارق، وبالرغم من إحساسها بالإرهاق، شعرت ميا بالإثارة والقلق بانتظار اتصال ثاندر . ووجدت صعوبة في أن تصدق أن يوم غدٍ هو يوم زفافها .

أم لعلها مخطئة ولعل ثاندر لم ينوِ يوماً أن يتزوجها فعلاً، ولعل الأمر كله ليس سوى خدعة لئيمة من قبله؟ لكنها أدركت أنها مخطئة فقد تذكرت نظرته عندما قال: «أريدك أكثر مما أردت أيّ امرأة يوماً، وسوف أحصل عليك» .

لم تتمكن من التركيز على أمر معين، فاستحمّت وقلّمت أظافرها . . كانت ترتدي ثوب الحمام الابيض، وتمشط شعرها الطويل الرطب حين قرع جرس الباب .

لا بد إنه تريفور، جاء يناديها لتردّ على الهاتف، فأسرعت نحو الباب، وفتحته وهي يقول: «أحتاج لدقيقة واحدة لأرتدي ثيابي . . .» .

ـ لا تزعجي نفسك من أجلي فأنا أفضلك كما أنت .

لم تصدّق عينيها، ووجدت نفسها تحدق في وجه ثاندر القوي، الاسمر، لكن خفقات قلبها التي توقفت للحظات ما لبث أن عادت وتسارعت .

ومع أنّ ضعفها أزعجها، إلا أنها استسلمت وتخلت عن محاولتها لتطرده من ذهنها، فهو لم يفارق فكرها يوماً . فغرت فاها وهي تنظر إليه وكأن ثقل أفكارها جعله يبرز أمامها الآن .

ومضت عيناه الخضراوان وهو يقول: «إن جمالك رائع . . . وتراودني أفكار لا يمكنني تجاهلها فيما نحن هنا على عتبة الباب» .

تراجعت ميا بشكل فوضوي، فتبعها الى الداخل وأقفل الباب وراءه .

سألته وهي لا تزال تتراجع: «متى عدت؟» .

ـ منذ ساعة تقريباً .

ردّ بشرود، وهو يتأملها بطريقة جعلت قلبها ينقبض: «إذن، قدمت من المطار مباشرة؟» .

ـ نعم .

ثم أضاف بصوته العميق المثير: «تباً لهذه المحادثة المهذبة! تعالي عانقيني» .

ودعتها كبرياؤها إلى التظاهر بعدم الاهتمام، لكن مشاعرها كانت أقوى فتوجهت نحوه، ورفعت إليه بلهفة جلية وجهها المشرق الذي لا يحمل أيّ أثر لمساحيق التجميل .

عانقها بشوق وجوع حتى شعرت بأنها تطفو فوق الغيوم . وحين تركها أخيراً تعلقت به ولفّت يديها حول عنقه والتصقت به اكثر فأكثر، فأمسك بذراعها وأبعدها عنه قليلاً، ليعلق بابتسامة ملتوية :

ـ يبدو أن البعد يؤجج نار الحب حقاً! هل هي دعوة ما يا ميا؟

أرادت أن تجيب بالإيجاب، لكنها عدلت عن رأيها حين أدركت أنّ ما يغذي هذه النار هو الرغبة وليس الحب .

وعندما هزت رأسها دون أن ترد، وضع ثاندر إصبعه تحت ذقنها ورفع وجهها ليقرأ ما ارتسم عليه وسألها: «لا؟» .

ثم تنهد وتابع قائلاً: «آه، حسناً! أفترض أن الأمر حسن هكذا، فلو جاريتك في الحوار لبقينا حتى الغد . بينما يجب أن نكون في الكنيسة» .

ابتسم قليلاً، ووضع إصبعه البارد على خدها الملتهب مما زاد من احمرار وجهها .

وبعد لحظات، التفتت عيناه إلى حيث انزلق الثوب عن كتفيها وقال: «من الافضل أن ترتدي ثيابك وإلا لن أضبط أعصابي، ثم احزمي أمتعتك إذ ستقضي الليلة في كرومبي سكوير» .

جمعت ميا، في ما يشبه الحلم، أول ما وقع تحت يديها، فحملت سروالها البحري وكنزتها البيضاء والزرقاء وتوجهت نحو الحمام الصغير .

وما أن انتهت من ارتداء ثيابها، حتى راحت تضع ما ظنت أنها ستحتاجه في حقيبة . وعندما أنهت عملها، لم تضع على وجهها أيّ زينة، بل وقفت مترددة، تجهل ما تفعله .

فسمعت صوت ثاندر يشق الصمت ليقول: «حسناً، هيا يا امرأة!» .

وبالرغم من نبرته الحادة، إلا أن صوته حمل نغمة تذليل وتسامح.

أحست أنها كالعبد المأمور، لكن هذا الشعور لم يزعجها، فأي شيء أفضل من الانتظار في ما يشبه السجن، كما كانت تفعل.

كانت الأمسية جميلة، إذ بدا نيسان في أبهى حلته، والهواء العليل يحمل حرارة الشمس الدافئة. أما السماء الزرقاء فقد ازدانت بالنجوم المتلألئة.

وما أن صعدا إلى السيارة، حتى بحث ثاندر في جيب سترته، ثم رفع يدها اليسرى ليضع خاتماً في إصبعها. وجاء الخاتم مناسباً وكأنه صنع خصيصاً لها.

حدّقت ميا فيه متفاجئة، فلم يكن ذاك الخاتم الماسي التقليدي الذي توقعته كخاتم زواج، بل حجراً أصفر غريباً يرصع خاتماً رائعاً عتيق الطراز.

سألته: «ما هذا الحجر؟».

ـ جزع عقيقي، الحجر الذي يشير الى السعادة الزوجية.

أثارت كلماته فيها رعشة غريبة، ما لبثت أن تلاشت، حين أضاف ساخراً:

ـ لا بد أنّ أصدقاءنا يتوقعون شيئاً من العاطفية.

وراح يتحدث، خلال توجههما الى مايفير، عن ترتيبات الزفاف. وختم كلامه بالقول:

ـ كنت على اتصال بأبيك وبرنشو، وهذا يعني أن كليهما يعرف ما يجري. وسيكون الاحتفال بسيطاً، سيحضره عدد من الاقارب وبعض الاصدقاء المقربين الذين دعوتهم هاتفياً.

وأضاف بعد تفكير: «هل من أحد لا أعرفه تودين دعوته؟».

هزت ميا رأسها، وقد أزعجتها ملاحظته وقالت: «وماذا سأقول لهم؟ سأتزوج رجلاً لا أحبه، تعالوا وتمنّوا لي السعادة؟».

ارتعشت عضلة في وجه ثاندر النحيل، وتوترت أصابعه الطويلة بشكل طفيف، فشدّت على عجلة القيادة، قبل أن تسترخي أعصابه مجدداً. وبعد لحظة، سألها بصوت لا يحمل أيّ نبرة، ومن دون أن يلتفت اليها:

ـ لماذا وافقت على الزواج بي؟

ـ أنت تعرف السبب.

فقال بتهكم ناعم: «أعني، لماذا تضحين بنفسك من أجل أب لا يهتم أبداً لأمرك؟».

فصرخت: «إنه يهتم لأمري!».

ثم أضافت بأسف: «لا، هذا صحيح! إنه لا يحبني، لم يحبني قط أو لعله فعل حتى...».

فردد ثاندر كلمتها: «حتى...؟».

ـ حتى حادث السيارة.

ـ أكملي.

لم تتحدث يوماً عن موضوع الحادث، علماً أن ذكراه لم تفارق ذهنها لسنوات وتسببت لها بكوابيس مخيفة. وراحت تروي له بعد لحظة، بصوت لا يتعدى الهمس:

ـ انقلبت بنا السيارة، ولم يصب أبي بخدش واحد فيما أصبت أنا بجروح طفيفة لكن أمي وأخي التوأم قتلا...

ـ كم كان عمرك آنذاك؟

ـ كنت قد بلغت الثامنة من عمري.

أدركت حتى في تلك السن المبكرة مدى يأس أبيها ومرارته لفقدانه الابن الذي عبده. وتمنت، بسبب استيائه الصامت والمستمر، لو كانت الأمور مختلفة ولو أنها ماتت بدلاً من اخيها.

قال لها ثاندر بهدوء: «أخبريني عن طفولتك».

نظرت ميا اليه شزراً وقالت: «ليس لدي الكثير لأقوله».

إذ لم تكن طفولتها موضوعاً تحب إثارته.

ـ ألم يفكر والدك في الزواج مرة اخرى؟

ـ لا، لم يهتم لأمر امرأة اخرى، بل دفن نفسه في عمله، وتتالت مدبرات المنزل اللاتي كان بعضهن لطيفاً وبعضهن الآخر خلاف ذلك تماماً.

ـ لكن كان لديك جيران وأصدقاء تلعبين معهم، أليس كذلك؟

هزّت ميا رأسها وقالت: «كان منزلنا قائماً على أراضينا الخاصة. ولم يكن يسمح لي بالخروج أو بعقد الصداقات».

بدا صوتها عادياً خالياً من أيّ انفعال، وهي تكمل حديثها: «اعتدت أن أقف عند نافذة الحضانة لأتأمل الاولاد وهم يلعبون أحياناً. حين تهب الرياح، كنت أراقبهم وهم يلعبون بطائرات الورق ولطالما تمنيت أن أحصل على واحدة منها».

وللمره الأولى، ظهرت الكآبة في صوتها.

ـ هل حصلت يوماً على واحدة؟

ـ لا.

ـ أين تعلمت؟

ـ كان لدي مدرّس خاص حتى بلغت الحادية عشرة من عمري.

رمقها ثاندر بنظرة تهديد ساخرة وسألها: «هل عليّ استخدام التعذيب لتكملي حديثك؟».

ارتسم على وجهها العناد، وهي تقول: «قلت لك إنه ليس لديّ الكثير لأرويه».

لكنه ألحّ قائلاً:

ـ وبعد المدرّس الخاص؟

ـ ارتدت بعد ذلك، ولسبع سنوات، مدرسة خاصة صغيرة للبنات ثم تسجّلت في معهد السكرتارية.

ـ وبعد ذلك؟

ـ ما إن أنهيت دراستي، حتى حصلت على عمل في رايفيلد وتركت المنزل.

ـ لماذا؟ لم تكوني مضطرة لذلك؟

فقالت بغضب مكبوت: «أردت استقلاليتي».

كان ما قالته جزءاً من الحقيقة، فجلّ ما أرادته هو أن تُحَب وبعد كل المحاولات التي بذلتها للتعويض عن موت مايكل، وبعد كل تلك السنوات من الشعور بالذنب لأنها عاشت في حين أنه مات، لم تعد قادرة على تحمّل

المزيد.

لحسن حظها، لم يطرح ثاندر مزيداً من الاسئلة، وغرق في صمت عميق حتى وصلا الى كرومبي سكوير.

وما إن اجتازا البوابة حتى ظهر خادم ممتلىء الجسم، رمادي الشعر وهمس باحترام:

ـ مساء الخير سيدي، مساء الخير سيدتي.

ـ مساء الخير يا توماس.

وأعطاه مفاتيح السيارة ثم أضاف: «هلاّ وضعت حقيبة الآنسة فيلدينغ في غرفة الضيوف، واطلب من السيدة روز أن ترسل الشاي الى الطابق العلوي؟».

وأشار ثاندر، وهو يرافق ميا الى البهو: «لم تري سوى غرفة واحدة؛ سأجول بك على سائر الغرف».

رأت قبالة غرفة الجلوس، مكتباً واسعاً رصفت الكتب على جوانبه. وفي الجهة الخلفية من المنزل، غرفة طعام طويلة، تطل على حديقة مسوّرة، وتتميز بنوافذها الكبيرة. كما لاحظت قربها مطبخ فسيح جميل.

أما في الطابق العلوي، فشاهدت أبواباً مزدوجة، تؤدي إلى غرفة جلوس رئيسية لها باب من كل جهة. وإلى يمينها، غرفة نوم جميلة، مزينة باللونين الابيض والذهبي، وهي مفروشة بأثاث حديث ناعم، وهناك على خزانة صغيرة في الغرفة رأت حقيبتها.

فتح ثاندر الباب الموجود إلى اليسار، وقال: «هذه غرفة نومي التي ستصبح قريباً غرفتنا».

لاحظ نظراتها التي راحت تتأمل السرير الواسع، فسألها: «أي جهة تفضلين؟».

أثار هذا السؤال البريء اضطرابها، فعادت الى غرفة الجلوس، وهي تجيب بصوت سويّ قدر الامكان: «في الواقع، لا أعرف. لطالما نمت وحدي».

ثم أكملت تسأله: «إنّ رأيك بي غير مشرف، لهذا لا أفهم

لماذا. . .؟».

ـ لماذا قررت أن أتولى أمرك؟ أنا أحب التحدي.

وبلهجة لا تخلو من خيبة الامل، أضاف: «لكني حققت أول هدفين من أهدافي الثلاثة بسهولة أكبر مما توقعت».

فكررت كلماته: «أول هدفين؟».

ـ أن ألفت نظرك وأن أجعلك تتزوجينني.

عندها، أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت بلهجة لاذعة: «هل لي أن أعرف الهدف الثالث؟».

ـ أن أجعلك تحبينني.

كان هذا آخر ما توقعت أن يقوله، فأحست بصدمة عنيفة، وارتدّت عنه مبتعدة وهي تقول بصوت مخنوق: «ما الفرق الذي سيشكله شعوري نحوك؟».

وضع ثاندر ذراعيه حولها وأعادها الى قربه ثم دفن رأسه في شعرها وقال برقة: «كل الفرق».

رمقته ميا بنظرة حذرة فظهر على شفتيه طيف ابتسامة وهو يقول: «جدي الحل بنفسك».

لكنها كانت تعلم أن حب رجل كثاندر سيقضي على كل دفاعاتها، ويتركها ضعيفة، غير محصنة ضد الجراح التي قد يخلفها وراءه. وبسبب هذه الافكار تملكتها قشعريرة، سرت في جسمها كله.

كانت سجينة بين ذراعيه، وأنفاسها حبيسة في صدرها عندما، ولحسن حظها، دق الباب، فأطلق ثاندر سراحها وتوجه نحو الباب يفتحه وهو يقول: «إنه الشاي الذي طلبته. . . آه، شكراً يا أميلي».

أخذ العربة من خادمة صغيرة ذات وجه مستدير، ثم التفت نحو ميا واقترح عليها: «تبدين متعبة. لم لا تشربين الشاي في سريرك؟».

وقفت تحملق فيه وهو يجر العربة ويتركها الى جانب السرير. وعندما عاد، طبع قبلة على خدها وهو يقول: «عمت مساءً، أتمنى لك أحلاماً سعيدة».

واختفى قبل أن تنبس ببنت شفة.

ما إن عاد عقلها وعضلاتها الى العمل من جديد، حتى أخرجت ميا أغراضها من الحقيبة ونظفت أسنانها في الحمام الملحق بالغرفة. بعد ذلك، لجأت الى السرير، وشربت فنجاناً من الشاي، في وقت كانت فيه أفكارها تتصارع في عقلها وكأنها سرب من الطيور.

ليلة الغد لن تقضيها وحيدة. . وتوقف قلبها عن الخفقان من فرط الإثارة التي حملتها هذه الفكرة. لقد أشار ثاندر الى أنها لن تجد صعوبة في مقاسمته فراشه، وهذه هي الحقيقة.

لكن الزواج أكثر من ليلة زفاف، أكثر بكثير. وها هي تجازف بالزواج برجل يكرهها وينجذب إليها في آن معاً.

ولا داعي للادعاء بأنها لم تكن تملك الخيار بل كان أمامها خيار آخر. كان بإمكانها أن ترسل ثاندر الى الجحيم. لكن، ماذا لو نفّذ تهديده الشرير وقضى على أعمال أبيها؟

كان قادراً على ذلك، غير أنها تشك في أنه سينفذ تهديده. لقد راهن على استسلامها من دون مقاومة. ولو فشل الرهان، لما نزل إلى حدود الحقارة أو الانتقام.

لكنها قد تكون مخطئة، فهي لا تعرفه جيداً والحقيقة أنها تكاد لاتعرفه. . .

راحت توبّخ نفسها متهمة إياها بالجنون.

فما هي احتمالات نجاح زواج كهذا؟ زواج قد لا يحمل معه سوى التعاسة. ولو كانت امرأة تتحلى بذرة من الذكاء، لغادرت هذا الفراش، وهذا المنزل حالاً.

لكنها لم تكن قادرة على ذلك، فثاندر أشبه بالنار في عروقها وبالحمى في دمها. ولعلها تجازف بزواجها، لكنها مجازفة أرادت أن تقوم بها. . .

كان الفجر يداعب السماء، والطيور تشدو في الحديقة حين استسلمت أخيراً للنوم، بعدما بلغ منها التعب مبلغاً عظيماً. وكان أن نامت دون حراك حتى الساعة التاسعة ولم تستيقظ إلاّ حين دخلت اميلي وهي تحمل معها

صينية الفطور.

قالت الفتاة، وهي تفتح الستائر ليدخل نور الشمس الى الغرفة: «إنه يوم رائع يا آنسة. لا بد أن أعصابك متوترة».

وحين تمكنّت ميا من الابتسام ووافقتها على أنها متوترة، تنهدت اميلي، الرومنسية الطبع على ما يبدو، وغادرت الغرفة.

سكبت ميا لنفسها فنجاناً من القهوة، ثم توجهت نحو النافذة، لتتأمل الحديقة. كان بساط العشب الأخضر يلمع بحبيبات الندى التي نثرت عليه وكأنها لؤلؤ خالص، وأحاطت به اشجار قديمة بدت وكأنها تطوّقه. رأت وراء الاشجار ممراً مرصوفاً، يشق طريقه بين أحواض الزهور والشجيرات الصغيرة ليصل الى ملجأ دائري أبيض من الطراز الفيكتوري.

أحست برعشة مفاجئة، بسبب أعصابها المتوترة أكثر منها بسبب البرد، فعادت الى سريرها من جديد. وبدا لها الفطور الذي أحضرته اميلي لذيذاً، لكن ميا لم تكن قادرة على التهام أيّ شيء فيه.

كانت لا تزال مسترخية في السرير، تحتسي فنجان قهوتها الثاني، حين دخل الغرفة ثاندر، الجذاب للغاية في سرواله الناعم وكنزته القطنية السوداء.

توقف، وطبع على خدها قبلة قبل أن يرمي على حجرها علبة من الجلد الناعم، ويقول: «هدية العريس للعروس».

راحت يداها ترتجفان، وهي تستخدم ظفرها لتضغط على القفل. وانفتحت العلبة فظهر عقد رائع من اللؤلؤ العاجي.

وقبل أن تتمكن من شكره، قال بفظاظة: «عندما نتزوج، لا أريد أن أضطر لمراقبتك أو للتساؤل عن مكانك عندما لا تكونين معي. أريد منك أن تعديني بأن ما كان بينك وبين مياشيم قد انتهى، وبأنكِ لا تنوين رؤيته مجدداً».

لم يخطر فيليب على بالها منذ أيام، وأدركت، بشيء من الاسف، أنها لا تريد أن يذكره، في هذا الظرف وفي هذه اللحظات. وغشيت عينيها الخضراوين غمامة من التعاسة، وسألته بتمهل:

ـ وهل ستثق بوعدي؟

ـ نعم.

ـ إذن، أعدك بذلك.

هزّ رأسه، وكأنه نال مبتغاه. ثم قال وهو يستدير ليغادر الغرفة: «أريد منك أن ترفعي خمارك عندما تدخلين إلى الكنيسة».

لقد صاغ كلماته كطلب ولكنها في الواقع جاءت أمراً أعليها تنفيذه.

أردف قائلاً: «أريد أن أرى تعابير عينيك وأنت تتلفظين بعهدك».

فاجأت كلماته ميا، فجلست تحملق في الفراغ الذي خلّفه، تتساءل عما عناه بالضبط... بقيت على هذه الحال لدقيقة أو أكثر، قبل أن تتمكن من تمالك أعصابها ومغادرة سريرها.

فتحت إحدى الخزائن الفخمة، فرأت فستان زفافها معلقاً هناك وقد لُفّ بغلاف بلاستيكي شفاف وإلى جانبه ثوب جانيت وكافة أغراضها الأخرى.

كانت قد استحمت، ولبست ثوبها حين وصلت جانيت، بوجهها النحيل المتورد وعينيها البنيتين اللتين تلمعان إثارة. كانت تحمل في إحدى يديها حقيبة صغيرة لمستحضرات التجميل، أما من الاخرى فتدلت حقيبة وعدد من الاكياس المختلفة الاحجام.

قالت: «حسناً، ها أناذا إشبينتك المختارة. أرسل لي ثاندر سيارة، لهذا أشعر بأنني مهمة!».

ردت ميا: «أنت فعلاً مهمة، فبدونك لن أجهز في الوقت المناسب».

مرت الساعة التالية في هرج ومرج إذ أنهتا في هذا الوقت زينتهما وأناقتهما.

تأملت ميا نفسها في المرآة الكبيرة، وأحست، ربما للمرة الاولى، بأنها جميلة. بدت شاحبة إنما هادئة.. وكانت قد وضعت حول جيدها عقد اللؤلؤ، وعلى قمة شعرها الاشقر التاج الذي اختارته؛ أما جانيت المبتسمة المتوردة والتي بدت جميلة للغاية في ثوبها الجديد فأخذت تسوّي خمار العروس.

أعلنت طرقة على الباب وصول باقة أزهار العروس التي نسقت من أزهار الفريزية البيضاء العطرة ومن زنبق الوادي أما باقة الاشبينة فكانت أزهار وردية.

بعد دقائق، وصل جايمس الذي بدا أنيقاً ومميزاً في بذته الرمادية، وقد وضع قرنفلة بيضاء في عروة سترته. وقف صامتاً للحظات يتأمل ابنته، ثم تنحنح وقال بلهجة شبه محرجة: «إنك عروس جميلة».

توجهت جانيت، التي بلغت بها الاثارة ذروتها، نحو النافذة وأعلنت بصوت حاد بعد لحظات: «وصلت سيارة الاشبينة!».

ثم حملت باقة أزهارها وتوجهت نحو الباب وهي تهددها قائلة: «إذا تأخرت لبضع دقائق فقد أتزوجه أنا!».

كان يوماً جميلاً، سطعت فيه الشمس وأرسلت أشعتها الذهبية لتدفيء الارض. وبعد رحلة قصيرة الى الكنيسة ترجلت ميا من السيارة متأبطة ذراع والدها.

بدت، ظاهرياً، هادئة وواثقة من نفسها غير أنّ أعصابها كانت مشدودة وهي تصعد الدرج نحو الكنيسة القديمة الرمادية القائمة بين صفين من الاشجار.

أما جايمس الذي بدا غارقاً في التفكير، فلم يكد يوجّه إليها الحديث. وأخيراً ابتسم لها، وضغط على يدها وهو يقول بصوت أجش: «تبدين اليوم كأمك تماماً».

جعلت كلماته هذه ومبادرته العاطفية غير المتوقعة، عينيها تغرورقان بالدموع.

كانت جانيت تنتظر في الرواق فاحتلت مكانها وراء العروس وهي تبتسم بغموض.. . سحرتها الكنيسة بالورود التي عجت في أرجائها وموسيقى الأرغن وبرائحة البخور وبالحلة التي أضفتها أشعة الشمس المتسللة من النوافذ.

وعند المذبح، كان بانتظارها القس جنكينز وثاندر، وشاب غريب، وسيم الشكل، لا بد أنه الاشبين.

وفجأة، بدّل عازف الارغن الموسيقى ليعزف لحن الزفاف التقليدي. وفي اللحظة نفسها، هبّ الحضور كلهم، كرجل واحد والتفتوا ليتأملوا العروس وهي تعبر ممشى الكنيسة.

عندما تلاقت عيونهما رأت ميا تعبير وجهه يتبدل من الفضول الى عدم التصديق، ثم استحال قناعاً ابيض من الصدمة والألم.. . لقد أتى فيليب لحضور زفاف ثاندر، لكن من الواضح أنه لم يكن لديه أدنى فكرة عن هوية العروس.

***

٥ ـ مواجهة وخوف

ترددت ميا للحظة، ثم رفعت خمارها عن وجهها وأكملت مسيرتها.

وقف ثاندر هناك يراقبها، وقد بدا طويل القامة، أنيقاً في بذلته الصباحية الرمادية اللون. وللحظات فقط ومضت عيناه ببريق بدائي، ثم ما لبث أن غاب أي أثر للانفعال تاركاً وجهه النحيل الاسمر من دون تعبير.

وعندما وصلت إلى المذبح، التفتت لتسلم باقتها لجانيت التي رمقتها بنظرة تعاطف نابعة من القلب.

احتلت ميا مكانها قرب ثاندر. كانت تعابير البرودة والعناد مرتسمة على وجهها وأحست بأنها منفصلة بشكل غريب عما حولها، كما لو أن عقلها ابتعد عن جسدها. اشتمت شذا أزهار الفريزية وراحت تستمع للقس الأقرع واللطيف، وهو يقرأ كلمات قداس الزفاف الجليلة.

ـ اعزائي. لقد اجتمعنا ههنا تحت أنظار الرب، وفي حضور هذا الجمع المحتشد، لنجمع هذا الرجل وهذه المرأة في رباط الزواج المقدس. . .

ساد الهدوء في الكنيسة، وكأنما كل شخص من الحضور قد حبس أنفاسه. كان الهدوء عظيماً إلى حد استطاعت معه أن تسمع همهمة زحمة السير البعيدة في بارك لاني. .

ـ هل تقبل بهذه المرأة زوجة لك. . . وتتخلى عن الأخريات كلهن، وتبقى على الحاضرة هنا، حتى يفرقكما الموت؟

ردّ ثاندر بحزم: «أقبل».

وبعد أن لفت القس انتباه ميا بخبرة، تابع قائلاً: «هل تقبلين بهذا الرجل زوجاً لك. . .».

هزّها ندم غريب، وودت لو أنه زواج مختلف، زواج مبني على أساس الحب. . .

أدارت رأسها، ووجدت نفسها لاشعورياً وبالرغم من تنبيهه، تحدق مباشرة في عيني ثاندر، فهي لم تكن مذنبة بما اتهمها به، وستحافظ قدر الامكان، على عهدها. وبعد حين، التفتت إلى القس بعينين واضحتين وثابتتين، ثم أجابت: «نعم».

ـ من يعطي هذه المرأة زوجة لهذا الرجل؟

عندما أدّى جايمس دوره، أمسك ثاندر يد ميا، وأعطى كل منهما عهده.

وبالإجلال المناسب، قدّم الاشبين الخاتم ووضعه على الكتاب، ثم وضع إلى جانبه خاتماً أكبر.

اعتراها شعور غريب بالدفء اختلط بشيء من الإثارة، لقد اختار ثاندر أن يضع خاتماً!

لكن هذا الشعور ما لبث أن خمد، فلا بدّ أن خياره هذا استعراض وحسب. فعندما أخبرها أنه يجب أن يتزوج ليخلف أباه على رأس المصرف، ألم يستخدم عبارة «زواج محترم».

سلم الكاهن الخاتم الأصغر لثاندر، فألبسها إياه في إصبعها.

وضعت ميا الخاتم الآخر في إصبع ثاندر، بيدين متجمدتين، ثم ركعا معاً.

ـ ما جمعه الله لا يفرقه الانسان، بما أن ثاندر كريستيان وميا شارلوت قد ارتبطا بالزواج المقدس. . . وأعلنا ذلك بإعطاء الخاتم وتلقيه، أعلنهما معاً رجلاً وزوجة. . .

وبعد توقيع السّجل، دسّ خاتم الخطبة في إصبع ميا، لينضم إلى خاتم الزواج الذهبي البسيط، بعد ذلك، رفع يدها إلى شفتيه يلثمها.

ومع أنها تدرك أن حركته هذه ليست إلاّ استعراضاً، إلا أن قلبها انقبض وارتجفت ركبتاها.

وعندما انتهى الاحتفال، راح عازف الارغن يعزف موسيقى الابتهاج

بالنصر. وتأبطت ميا ذراع ثاندر، وهي تبتسم لوالدها وويليم الذي بدا متألقاً، ثم توجهت نحو باب الكنيسة دون أن تلتفت إلى اليمين أو اليسار.

وفي الخارج كان في انتظارها مصور رسمي، وعدد من مصوّري الصحافة الذين اكتشفوا أمر الزواج على ما يبدو، فزواج مصرفي ثري، بإذن خاص، بفتاة لم يسمع بها أحد على الصعيد الاجتماعي حدث بحد ذاته. التقطت الصور، وقرعت الإجراس، ونثر الأرز وأوراق الزهور على العروسين الذين شبكا يديهما وعبرا ممر الكنيسة ركضاً.

فوجئت ميا حين رأت عربة يجرها جوادان أبيضا اللون تنتظرهما، فساعدها ثاندر على الصعود اليها، وما إن رتّبت فستانها الواسع، حتى احتل مكانه إلى جانبها، ورفع السائس سوطه عالياً، ليتحرك الجوادان، وينطلقا بخطى رشيقة.

وفيما تقدمت العربة في الشوارع المشمسة، والصحافيون يلاحقونها، وضع ثاندر ذراعه بخفة حول كتفيها، ولامس عنقها برؤوس أصابعه. أثارت لمسته قشعريرة في جسمها، جعلتها تنسى الصحافيين الذين أحاطوا بهما.

عندما وصلا إلى البيت، كان الباب مفتوحاً على مصراعيه وقد اصطف العاملون بما في ذلك السيدة روز وأميلي وتوماس، لتهنئتهما.

وعند عتبة الباب، توقف ثاندر قليلاً ليتحدث إلى رجال الصحافة الذين ما لبثوا أن اختفوا، لحسن حظ ميا.

وما أن دخلا إلى المنزل، حتى بدأت السيارات بالتوافد، فاضطرا للعودة للترحيب بضيوفهما.

مر عدد من الوجوه الغريبة، ثم وصل ويليم فصافح ثاندر قبل أن يقبّل ميا بحنان ومحبة، وتبعه الاشبين الذي قدمّه لها ثاندر باسم جون روس، وهو صديق قديم وزميل من المصرف.

كان جون متوسط الطول وممتلىء الجسم، تعلو وجهه ملامح الجد، لكنه يضيء حين يبتسم، وأمّا عيناه فعسليتان. صافح ميا وقال بلطف: «إن ثاندر رجل محظوظ، أنت فعلاً كما وصفك».

وعندها، تقدّم نحوهما فيليب ورودا، وحين التقت عيناها بعيني رودا،

جفّ فمها وانقبض حلقها، إذ قرأت فيهما غضباً وخبثاً ونيّة مبيتة لافتعال المشاكل.

بدت صغيرة وبريئة كاللعبة بين الرجلين الطويلين، وهتفت: «حين تلقيتَ خبر زواجك، لم أكن أعلم أنك ستتزوج المرأة التي لا تقاوم...».

لم يطلع ثاندر رودا على مشاريعه إذن!

وارتسم على شفتيها ما يشبه الابتسامة وهي تضيف: «لم أكن أعلم أنكما تعرفان بعضكما بعضاً إلى هذا الحد...».

حافظت ميا على ابتسامتها، وحين رأت وجه فيليب يتورد، رجت ألاّ يظهر مشاعره علناً.

ـ أخبرني، كيف تمكنت من إنجاح الموضوع بهذه السرعة؟

وبالرغم من أن سؤال رودا بدا موجهاً إلى ثاندر، إلاّ أن نظرتها أظهرت جلياً أن سؤالها هذا موجه اليها هي.

لكن ثاندر أجاب بسرعة ويسر: «يمكنني أن أتحرك بسرعة عندما تكون سعادتي في خطر».

نظرت رودا إلى العروس، وتوددت إليها قائلة: «حسناً أهنئك، أيتها الفتاة الذكية. أنت محظوظة جداً!».

وبقيت ميا جامدة كالتمثال، حين طبع فيليب قبلة على خدها وصافح ثاندر.

وفيما ابتعدا، تابع ثاندر خطواتهما بنظراته مقطّباً جبينه، ثم ابتسم مجدداً والتفت ليتلقى التهاني من مدعوين آخرين.

كان الغداء، المعدّ في غرفة الطعام على شكل مائدة مفتوحة من الاطباق الباردة، ممتازاً لكن شهية ميا لم تساعدها، فاكتفت بكوب من العصير فيما راحت تبتسم وتتحدث وتحاول أن تبدو بمظهر العروس السعيدة.

وأحست بالإرتياح حين قطع قالب الحلوى ثم تمّ تبادل التهاني. كانت تقف إلى جانب ثاندر وشعور بالمرض يتملكها لفرط توترها، حين ظهرت رودا فجأة، جميلة وسامّة كزهرة الدفلى.

قالت بعذوبة: «حين اكتشفت أنك العروس تفاجأت، إن لم أقل صدمت. حتى أن فيليب لم يكن لديه أدنى فكرة. . . أخشى أن الرجل المسكين استاء حين تركته بهذه الطريقة. . .».

شعرت ميا وكأنها شخص غير متمرس يحاول أن يلعب بقنبلة يدوية، فقالت بحذر: «كنت متأكدة من أن جانيت ستفي بالغرض. فهي تجيد عملها مثلي تماماً».

ومضت عينا رودا وهي تضيف: «لعلها تعرف العمل، لكني أشك في أن تحتل مكانك. أعلم أن فيليب لم يعتبرك قط سكرتيرة وحسب، في الواقع. . .».

عندها، رمقها ثاندر بنظرة تحذير، فتوقفت عن الكلام للحظة وبدّلت لهجتها: «لكن يبدو أن كل شيء يحصل فجأة. عندما علمنا بخبر الزواج الذي لفّه الغموض، افترضت أنه سيتزوج جاكلين، لقد كانا صديقين حميمين منذ فترة طويلة، حميمان مثلك ومثل. . .».

ـ آه، عفواً.

ارتطمت جانيت بذراع رودا وكادت توقع عليها كوب العصير الذي تشربه، فاعتذرت ثم أضافت: «على فكرة، كان فيليب يبحث عنك».

نظرت إليها رودا نظرة مهلكة، ثم تجاهلتها وعاودت هجومها: «متى تبدأ رحلة شهر عسلكما، يا طائري الحب؟».

ـ في الواقع، لا. . .

وفيما تلعثمت ميا، أجاب ثاندر قائلاً: «بعد حوالى الساعة».

ـ وأين ستمضيانه؟

فأجابها ثاندر بلطف: «سأبقي وجهتنا سراً».

تناهت كلماته إلى مسامع ميا عبر ما يشبه الهدير المكتوم، وأحست بالغثيان وبدوار فظيع يتملكها، فاستأذنت وتوجهت مسرعة نحو الواجهة الزجاجية المطلة على الحديقة.

وما إن أصبحت في الخارج وتنشقت النسيم العليل حتى شعرت بتحسن بسيط. عندها، اجتازت العشب الاخضر، بحثاً عن العزلة والسكون،

وتوجهت عبر الاشجار والمزروعات نحو الملجأ الصغير الابيض.

كان جوه بارداً ومظلماً فتهالكت على مقعد نصف دائري، غير آبهة للغبار، وأغمضت عينيها بعد أن أرجعت رأسها إلى الخلف، وتلاشى الفراغ المغثي تدريجياً وبدأت الأفكار تنجلي في عقلها.

وحين استعادت الاحداث الماضية، بدا لها الامر سخيفاً، فعندما قال ثاندر «العائلة والاصدقاء المقربون»، لم يخطر في بالها أن فيليب ورودا سيحضران، كما لم تفكر في ردة فعلها.

ظهر جلياً أن فيليب قد صعق، وارتعد حتى الصميم، أما رودا ففقدت أعصابها كلياً لفرط غضبها وغيظها، فهل هذا يعود إلى أنها تعتبر أنّ ميا تمكّنت، بطريقة ما، من الحصول على الرجلين اللذين أرادتهما؟

علمت أنها لا تستطيع الابتعاد لوقت طويل، فراحت تشجّع نفسها على العودة إلى المنزل. وفي هذه اللحظات سمعت وقع خطوات قادمة نحوها، فأدركت أن ثاندر جاء يبحث عنها. فتحت عينيها، لكنها صدمت حين رأت فيليب يتأملها.

وسألها بصوت بائس: «يا إلهي، لما فعلت هذا؟ ألتنتقمي مني؟ لو انتظرت حتى أجد حلاً ما. . .».

شرعت ميا تقول: «أنا لم. . .».

لكن فيليب قاطعها، وتابع يقول: «لا أحتمل فكرة أن تتزوجي شخصاً آخر. كيف يمكنك أن تتزوجيه وأنت تحبينني أنا؟».

وأمسكها من ذراعها، وأوقفها على قدميها. وقبل أن تتمكن من الاعتراض، ضمها بين ذراعيه وبشغف لم تعهده فيه من قبل، راح يهتف: «لن أدعك ترحلين! لن أفعل! أنت لي!».

ـ أنت على خطأ في هذه النقطة.

جاء صوت ثاندر كشلال ماء بارد، ففرقهما عن بعضهما البعض. كان يقف في المدخل، وقد بدّل ملابسه وارتدى بذلة رمادية، بدا قوياً مستبداً، وخطيراً كنمر مجروح بالرغم من ملابسه المتحضرة وتابع يقول: «إنها لي. وإذا اقتربت منها مجدداً فسأدقّ عنقك وأودّ أن أفعل ذلك في الحال».

تكلم بنعومة ولطف، لكن تهديده جعل فيليب بشحب. وأمر ثاندر ميا من دون أن يلتفت إليها: «إذهبي وبدّلي ملابسك».

كانت نبرته الهادئة قاطعة كحد السيف، فراحت تتلفت من رجل إلى آخر عاجزة بائسة، وهي تقول: «لكني لا أريد منك أن. . .».

فرد ثاندر بسكون استثنائي: «إن اهتمامك بحبيبك مؤثر إلى حد يجعلني. . .».

ـ آه، أرجوك يا ثاندر. . . لن. . .؟

وسكتت، حين أدركت أن قلقها الواضح على فيليب، الذي لا يبدو الخصم المناسب له، لا يزيد الامور إلاّ سوءاً.

سحبت نفساً عميقاً، وتجاوزت الجسم الطويل الذي كاد يسّد الباب، ثم توجهت مسرعة نحو البيت.

وبالرغم من غضبه الجامح، كان ثاندر رجلاً متحضراً قادراً على السيطرة على أعصابه. فلن يغضب عائلته وأصدقاءه بضربه أحد المدعوين إلى حفل زفافه. أم تراه يفعل؟ هل سيفعل؟

شقت ميا طريقها بين الجموع الضاحكة والمتسامرة، وهي تقول لمن يوقفها: «أخشى أن الوقت قد حان كي أبدل ملابسي».

ثم ظهرت جانيت، فأخرجتها بسرعة من البهو ورافقتها إلى الطابق العلوي، بعد أن لاحظت شحوب وجهها.

ـ تبدين وكأن الكيل قد طفح بك. . . ولا عجب في ذلك! كدت أموت حين رأيت فيليب ورودا في الكنيسة، أظن أنهما كانا يجهلان أنك عروس ثاندر؟

ـ لا ما كانا يعلمان.

ـ على فكرة، آسفة لتدخلي، إنما ظننت أن رودا ستفضح قضية فيليب وستتسبب بفضيحة.

واعترفت ميا قائلة: «وأنا كذلك».

قطبت جانيت وهي تسألها: «كيف اكتشفت الأمر؟ لا أظن أن فيليب. . .؟».

هزّت ميا رأسها وردّت: «لا، لم يخبرها، وإلاّ لتأزمت الامور أكثر. لكنه كان ينوي فسخ خطوبته بها بعد حفلة عيد ميلادها».

ـ ولماذا لم يفعل؟

ـ أخبرته رودا أنها حامل قبل أن يفعل.

فهمست جانيت: «فهمت. إذن، كان يطارحها الغرام؟ يا لخبث الرجال!».

وراحت تقول، فيما كانت تساعد ميا على خلع ثوب الزفاف: «لكن، إن لم يكن فيليب من أخبرها، فكيف اكتشفت ذلك؟».

أجابت ميا بسأم: «كما فعلت أنت؟ علماً أننا حاولنا أن نكون حذرين وألا ننظر إلى بعضنا بعضاً بحضورها»

ضاقت عينا جانيت وهي تقترح: «لعلكما كنتما حذرين جداً؟».

ـ ممكن، أو لعله حدس وحسب. ليتها لم تعرف وذلك من أجل مصلحة الجميع، ونظراً للطريقة التي آلت إليها الامور.

ـ أنت على حق! ظننا أنها ستكتفي حين تستعيد رجلها، لكن يبدو أنها غاضبة. . . عندما تعرفت إليها للمرة الاولى، اعتقدت أنها امرأة لطيفة، لكنها ليست كذلك في الواقع.

فقالت ميا بأسى: «لا يمكنك أن تلوميها، أولاً خطيبها ومن ثم رجل لطالما اعتبرته مميزاً».

وعارضتها جانيت بعناد:

ـ يمكنني أن ألومها، إن لسانها سليط، علماً أن جون روس لم يرحمها عندما لمّحت إلى أنك تزوجت ثاندر من أجل ماله. إذ نظر إليها وكأنها حشرة طفيلية وقال لها بهدوء: «ميا فتاة جميلة وذكية ولم يكن ثاندر يوماً غبياً. . .».

ثم أضافت: «على أي حال، خذي بنصيحتي. لا تجعلي ما حدث بعد الظهر يؤثر فيك».

وعلقت فستان الزفاف، ثم عادت إلى الطابق الأسفل، في حين راحت ميا ترتدي ثياب السفر التي اشترتها.

ارتدت بذلة من الحرير بنفسجية اللون، وتأملت نفسها في المرآة مقطبة. كان لون حاجبيها ورموشها أغمق من لون شعرها، وبشرتها بيضاء فاتحة إنما ليست شاحبة لهذا لم تكن بحاجة لإستخدام الكثير من مواد التجميل. لكنها بدت اليوم شاحبة جداً بالرغم من المكياج الذي وضعته بعناية، وسيعزو الجميع الأمر إلى توتر أعصابها يوم عرسها.

أحسّت ميا بدوار، وقد أثّر القلق في أعصابها، لكن كان عليها أن تتظاهر وأن تتصرف وكأن شيئاً لم يكن، حتى تختلي بثاندر على الأقل.

إنما أين ثاندر؟ وهل بلغ به الغضب حد إلغاء شهر العسل؟

فتح الباب، لتظهر جانيت وهي تحمل باقة العروس.

قالت لها بصدق: «تبدين رائعة! هل أنت جاهزة للإنطلاقة الكبرى؟ ميا، إذن، لا تتلكئي... إن الحقائب في السيارة وثاندر بانتظارك، وقد انتهى الأسوأ».

فكرت ميا بقنوط أن جانيت أخطأت في هذه النقطة. كان البهو يعج بالضيوف، وثاندر ينتظر في أسفل السلالم، فنزلت ميا الدرج مرفوعة الرأس، والابتسامة مرتسمة على شفتيها هي تحمل في يدها باقة الزهر. حين وصلت إلى الاسفل، أمسكت باليد الاخرى اليد التي مدها ثاندر إليها.

قال لها: «تبدين رائعة».

وابتسم لها ابتسامة ساحرة، لكن الحرارة غابت عن عينيه الجميلتين.

وفيما كانا يعبران البهو، لمحت رودا وفيليب وسط مجموعة من الضيوف في آخر الغرفة. وبعد نظرة خاطفة أكدت لها أن فيليب بخير، تجنبت ميا الالتفات نحوهما.

عانقت والدها ووليم، ونفخت قبلة في الهواء نحو جانيت وجون روس اللذين كانا واقفين جنباً إلى جنب، ثم شقّت طريقها مع ثاندر نحو السيارة، تحت وابل من الأرز والورود.

فتح لها الباب، فاستدارت لترمي باقة الزهور قبل أن تصعد إلى السيارة، وأصابت هدفها تماماً، إذ التقطتها جانيت بسهولة. وما إن جلست ميا في مقعدها حتى صعد ثاندر إلى السيارة وجلس خلف عجلة القيادة

وانطلقا بعدما لوّحا بيديهما للضيوف ووزعا الابتسامات يمنة ويسرى.

خرجا من لندن وتوجها نحو هيثرو من دون أن يتبادلا الكلام. الآن وبعدما انتفت الحاجة إلى الحفاظ على المظاهر، بدا ثاندر متحفظاً ومنطوياً على نفسه.

وبعد حين، غامرت ميا وسألته: «لم تطلعني بعد على وجهتنا»،

ردّ ببرودة مؤدبة، حملت نبرة انزعاج أكثر منها نبرة غضب: «سنسافر على متن الرحلة المسائية إلى هونغ كونغ».

إن رؤية هونغ كونغ حلم لطالما راودها، ولو كانت الظروف مختلفة لفرحت بوجهتهما، لكنها لم تكن تشعر الآن سوى بالقلق من جراء ما حدث.

عليها، بطريقة ما، أن تجد الشجاعة الكافية لتتحدث إليه، ولتشرح له أنها لم تخن عهدها، ولتقول له أنّ ما بدا كموعد لم يكن كذلك.

وشرعت تقول بصوت خفيض: «ثاندر، أنا...».

التفت إليها، ورمقها بنظرة باردة جعلت الكلمات تتجمد على شفتيها فما كان منها إلا أن لزمت الصمت مجدداً بقلب مثقل. كيف يمكن للمرء أن يخترق حاجز الجليد هذا؟ ربما لو انتظرت بعض الوقت حتى يخمد غضبه...

تنحصر خبرة ميا في ما يتعلق بالسفر جوا، برحلتين في الدرجة السياحية. وقد شعرت في كلتا المرتين بخوف من الأماكن المغلقة وبتوتر شديد من الطيران. لكن، في هذه المرة، ولكثرة انشغالها، صعدت على متن الطائرة من دون خوف، ففاجأتها الدرجة الاولى بفخامتها وبالاستقبال الذي لقيته فيها.

بدأت أول مرحلة من الرحلة بعد حلول الظلام. وبعد عشاء ممتاز، أرخى معظم الركاب مقاعدهم كي يستريحوا.

كان ثاندر لطيفاً في تعامله مع المضيفات، أما مع ميا فتصرّف كرجل غريب متحضر إنما متحفظ. وشعرت بصداع خفيف وبيؤس شديد، فأغمضت عينيها وحاولت أن تنام، لكنها لم تتمكن من الاسترخاء لفرط

قلقها وتوترها ونامت نوماً خفيفاً متقطعاً.

كانوا قد اقتربوا من وجهتهما حين قدّم العشاء. وكان الطعام لذيذاً، لكن ميا لم تكد تلمسه.

حاولت ميا، التي فقدت شهيتها، أن ترفض الطعام الذي قدمته لها المضيفة، لكن ثاندر تدخل بلطف ونعومة قائلاً:

- يجب أن تأكلي يا عزيزتي، لإرضائي على الأقل.

ودلت نظرات المضيفة على أنها لو كانت مكان ميا لفعلت ما بوسعها لترضيه.

ولمعت عيناه وهو يضيف: «أفضل أن أضرب زوجتي بدلاً من أن أجوّعها لتطيعني».

فابتسمت المضيفة للنكتة التي أطلقها ثم تابعت طريقها، لكن ميا ارتجفت، وقد اقتنعت نسبياً بأنه يعني ما يقوله، ولهذا انقطعت شهيتها أكثر. إنما، وبطريقة ما، تمكّنت من ابتلاع بعض الطعام، إذ لم تتمكن من التخلص من عينيه اللتين كانتا تراقبانها.

ومع اقترابهم من كاولون، تمكنّت من مشاهدة مجموعة من الجزر المنثورة في بحر الصين، قرب الجزيرة الكبرى.

بدت كاولون، ككتلة من الأضواء المتلألئة التي تحاذي الشاطىء. وإلى الجنوب، تقع هونغ كونغ، وقد ارتفعت قمة ڤيكتوريا بيك لتبدو أعلى من أكبر ناطحات السحاب.

يعتبر الهبوط في كاي تاك، من أكثر الأمور إثارة في العالم، إذ بدت الطائرة قريبة من شوارع كاولون، وعلى علو أقدام من طريق واسع مزدحم.

حبست ميا أنفاسها، وحاولت أن تسيطر على الخوف المفاجىء الذي تملكها. وكانت يد ثاندر اليسرى موضوعة بكسل على فخذه، فأمسكتها لأنها أحست بحاجتها للشعور بالأمان، وأملت أن يطبق أصابعه على يدها، لكنه لم يفعل وما إن حطت الطائرة حتى سحب يده.

التفتت نحوه، فحدقّ للحظة في عينيها، وصعقتها نظراته وجعلت دقات قلبها تتسارع جزعاً.

أملت أن رحلة طويلة كهذه، ستذيب غضبه، لكن تبين لها في تلك اللحظة أن العكس هو الصحيح، لقد كبح غضبه فتزايد كضغط في بركان يهدد بالإنفجار.

لقد فات الاوان! تمنت لو أنها شرحت له الوضع في حينه بدلاً من أن يسيء الظن بها... واعترفت بأنها تراجعت جبناً، وخوفاً من ألاّ يصدقها وها هي الآن مقتنعة بأنه لن يصدقها ابداً.

كان نسيم الليل رطباً وحاراً خارج المطار؛ وما هو إلا وقت قصير حتى تمكن ثاندر من الحصول على سيارة أجرة بالرغم من الحشود.

وضع السائق الاسمر والذابل كشجرة جوز قديمة، حقائبهما في صندوق السيارة قبل أن يصعد خلف عجلة القيادة ليشق طريقه في زحمة السير باستسلام وكأنه مؤمن بأن أجداده العظماء يرعونه أو كأنه يتمنى اللحاق بهم.

وبعد ثالث حادث وشيك، اعترضت ميا قائلة:

- ألا يمكنك أن تطلب منه أن يقود بانتباه أكثر؟

فرد ثاندر، من دون تأثر: «إنه يقود بانتباه وفقاً لمعايير هونغ كونغ».

توجهوا نحو المرفأ عبر شوارع كاولون المزدحمة والغاصة بالألوان، بإشاراتها الضوئية المتعددة، ودخل السائق النفق الذي يصل كاولون بهونغ كونغ، واتجه إلى وسط المدينة وهناك راح يتحرك صعوداً، تاركاً الأضواء اللماعة والشوارع المزدحمة خلفه.

وأخيراً، توقفت السيارة في شارع هادىء، مظلم، تحف به الأشجار، أمام بوابة حديدية يحيط بها سور حجري عالٍ.

حمل ثاندر إحدى حقائب ميا، وفتح البوابة، ثم وضع يده الأخرى على مرفقها، واقتادها عبر حديقة تغص بالنباتات الخضراء الفريدة.

لم تر أيّ نوافذ مضاءة في الغسق، فقالت والخوف المفاجىء يجعل صوتها رفيعاً عالياً: «لا يبدو لي المكان كفندق».

- هذا ليس فندقاً. إنما هو بيتي الذي أعيش فيه، أو على الأصح الذي كنت أعيش فيه.

بني المنزل، المؤلف من طابق واحد، من حجر عسلي اللون، وأخفته عن الطريق نباتات متعرشة . . . أخمدت ميا رغبة مجنونة بالإفلات منه والهرب ورافقته عبر شرفة مرصوفة خلف المنزل.

ومن الشرفة، دخلت من أبواب زجاجية إلى غرفة جلوس باردة. لحسن الحظ كان الضوء فيها خافتاً، والأثاث حديثاً، كما كثرت فيها الكتب والنباتات الخضراء. ورأت إلى اليمين منها غرفة طعام، يصلها بغرفة الجلوس ممر مقنطر، وخلفها مطبخ منسق. أما إلى اليسار، فغرفة نوم رئيسية وغرفة للضيوف وقد ألحق بكل منهما حمام فخم.

وبعدما فتح الأبواب، وقادها بصمت، عاد ثاندر ليهتم ببقية الحقائب وليدفع للسائق أجرته.

جاهدت ميا لتعود إلى طبيعتها، فأخرجت قميص نومها وحاجاتها الخاصة قبل أن تعود إلى غرفة الجلوس. وهناك، جلست على الاريكة، وقد تزايد خوفها، وراحت تنتظر عودته، والمواجهة التي ستحصل لا محالة.

***

٦ ـ تبرير واتهام

مع أن ميا كانت تنتظر عودة ثاندر بانتباه واهتمام، إلا أنها لم تسمعه حين عاد . . . ودفعها حدسها إلى رفع بصرها، فأحست برعشة تهزها إذ رأته واقفاً في الباب يتأملها بعينين خضراوين ضيقتين.

هبت واقفة فتقدم عمداً نحوها خطوة أو خطوتين. بدا الغضب جلياً في كل عضلة من عضلات جسمه الطويل والقوي، وتفجرت منه عدائية كبيرة.

تحضرت للمواجهة، وهي تتمنى لو تهرب بعيداً، لكنها شكت في أن تتمكن ساقاها من حملها. وإلى أين ستفر على أي حال؟

ـ حسناً؟

جاءت كلمته الناعمة كتحدٍ، وكأنه يستعد للمبارزة. فأنكرت وهي تغالب دقات قلبها المتسارعة: «لم أنكث بوعدي».

نظر إليها، بفم مشمئز وعينين مليئتين بنفور جلي ومع ذلك أضافت:

ـ أو، على الأقل، لم أنوِ أن. . .

فقاطعها بفظاظة: «لا تزعجي نفسك بالكذب علي».

كافحت لتحافظ على هدوئها، وقالت: «إني أقول الحقيقة. لم أكن على ما يرام. . . كل ما أردته هو القليل من الوحدة وبعض الهواء العليل. . . ».

ـ عندما وصلت إلى هناك لم تكوني وحيدة، كنت بين ذراعي رجل آخر.

حطمت كلماته القاسية أعصابها كما تحطم الحصاة الزجاج.

ـ لم أكن بين ذراعيه باختياري، فقد ضمني إليه عنوة. لم أكن أريد

ذلك . . .

توقفت ميا عن الكلام، وأحنت رأسها فرسم الضوء ظلال رموشها على خديها الشاحبين وعجزت عن إضافة كلمة أخرى لفرط ما هزتها دموعها المنهمرة.

وبعد لحظات، قال ثاندر بصوت خافت: «تبدين منهكة. أتودين الخلود إلى النوم؟».

قاومت رغبتها الجبانة في الرد بالإيجاب، ثم هزت رأسها قائلة: «أودّ. . . أودّ أن أتحدث إليك قبل ذلك لأشرح لك موضوع فيليب».

ـ لا أريد أن تشرحي لي. . . لقد رأيت الواقع.

رآها تترنح فأمرها: «واجلسي قبل أن تقعي».

دفعها نحو أقرب كرسي، وانحنى فوقها ليقول: «قلت لي إنك تحبينه. . . متى قال لك إنه يحبك للمرة الاولى؟».

ابتلعت بريقها وأجابت: «بعد أربعة أشهر».

ـ وهل كنتما تلتقيان غالباً؟

ـ لا . . . عندما نستطيع.

قال ثاندر بصوت يحمل نبرة احتقار: «أعتقد أن مياشيم لم يكن يتحلى بالجرأة اللازمة لمواجهة الأمور وفسخ الخطوبة، وتعريض وظيفته للخطر».

ـ لم يكن الامر كذلك. في البدء، لم يشأ أن يجرح مشاعر رودا لأنه كان حقاً يكنّ لها كل مودة.

تجاهلت نظرة ثاندر الساخرة، وتابعت: «أخيراً قال لي إنه لا يستطيع أن يكمل على هذا المنوال، وإنه قرر فسخ الخطوبة. لكنه كان ينتظر انتهاء حفلة رودا. وحين وصل تلك الليلة أخبرته أنها حامل».

ـ حامل؟

بدا الذهول على وجه ثاندر للحظة، ثم زمّ شفتيه، وعلق: «كان يعاشرها إذن في الوقت الذي كان فيه على علاقة بك».

اعترضت: «لم يكن على علاقة بي، ليس كما تعني».

أجاب ثاندر بضيق: «آه، هيا، لا تتوقعين مني أن أصدق ما تقولينه؟».

ـ إنها الحقيقة.

ـ نسيت تلك الليلة في الحديقة. . . ليلة ظننت أنني مياشم، تلك الليلة حمل ردكِ شوقاً وشغفاً خطفا عقلي. وهل نسيت أنني سمعت مياشيم وهو يقول: «أنت تحبينني أنا. لن أدعك تذهبين. . . أنت لي».

هزت ميا رأسها وقالت: «لم يكن يعني. . . ».

تجاهل ثاندر اعتراضها، وسألها: «ما الذي جعلك توافقين على هذه العلاقة الغريبة، حيث هناك أطراف ثلاثة؟ هل خشيت أن تخسريه نهائياً؟».

ـ لم أوافق عليها. لم أكن لأوافق عليها أبداً. . . لم أكن أعرف أنهما. . . عاشقان حتى. . .

فأنهى ثاندر جملتها بتجهم: «حتى اكتشفت أنها حامل وأنه سيضطر للزواج بها. حسناً، فهمت».

وأضاف بلهجة قاطعة كحد السيف: «إذن، تزوجتني لتنتقمي منه؟».

ـ لا! لا، بالتأكيد لا.

أحست أنها تريد منه أن يصدقها، وأن ذلك يهمها كثيراً، فأضافت بيأس: «أنت تعلم لما تزوجتك».

بدا غير مقتنع، وقال: «كان بإمكانك أن ترفضي، هل صدقت فعلاً أني ساودي بأبيك إلى الافلاس؟».

لا لم تصدق ذلك في قرارة نفسها، ووجدت نفسها عاجزة عن الكذب.

ـ حسناً، هل صدقت؟

وعندما رأت أنه ينتظر جوابها، قالت: «اعتقدت أنك عديم الرحمة بما فيه الكفاية».

وكأنه أحس بصفة أخرى لم تفصح عنها في ردها، فألح عليها قائلاً:

ـ كان هناك سبب آخر، إذن؟

ترددت وهي لا تعرف ما تقوله.

ـ لم تفكري في الحفاظ على علاقتك بمياشيم بعد زواجك بي أليس كذلك؟

وقبل أن تتمكن من الرد، تابع يقول: «تعتقد رودا أنك تزوجتني كغطاء لعلاقتكما. ولا أعتبر الامر إطراء لي، لكنها قد تكون على حق».

اعترضت ميا: «لا، ليست على حق. أرادت خلق المشاكل وحسب».

- يبدو لي أنك أنت من يسبب المشاكل كلها. فلطالما كنت تغارين من رودا، أليس كذلك؟

- هل قالت لك ذلك أيضاً؟

- ألم تشعري بالغيرة بسبب حب أبيك لرودا، حتى قبل أن يظهر مياشيم في حياتكما؟

وبالرغم من أن ميا كافحت لسنوات لكبت هذا الشعور، جاء اتهامه قريباً من الحقيقة، فارتسم شعور بالألم على وجهها.

وقال ثاندر بفظاظة: «لا داعي لأن تجيبي. ألهذا فعلت ما بوسعك لخطف مياشيم منها؟ كردة فعل؟».

فصرخت: «أي نوع من النساء تظنني؟».

ضحك ضحكة قصيرة وقال: «أعرف أيّ نوع من النساء أنت. تلك المرأة التي، بالرغم من وعودها، تخون زوجها وتتسلل خفية لتلتقي برجل آخر وهي ما تزال في ثوب زفافها».

أنكرت ميا كلامه بحرارة، والدموع تغرورق في عينيها الرماديتين اللامعتين، وقالت:

- لم أخطط للقائه. لا بد أنه تبعني. لم أكن أنوي أبداً أن...

قاطعها ثاندر بفظاظة: «أن تسخري مني؟ لكن هذا ما فعلته، وأنا لا أسمح بذلك لأحد. ومن يفعل لا ينجو بفعلته».

ارتسم كبرياء بارد على وجهه، فضاقت عيناه واتسعت فتحتا أنفه.

أحست ميا بغصة ألم تعتصر صدرها وبعد لحظة صمت، همست: «ماذا تنوي أن تفعل؟ هل ستلغي الزواج؟».

- وهل تتصورين أن هذا الحل سيجنبني سخرية الناس؟

تراجعت بشكل لا إرادي فأضاف: «بالتأكيد لا، بل على العكس. أخبريني يا زوجتي العزيزة، ماذا علي أن أفعل برأيك؟».

لزمت الصمت فسألها ساخراً: «ألم يعد لديك أجوبة؟».

ومن دون أن تقرر ما ستقوله، سمعت نفسها تسأله: «أتنوي المحافظة على العهد الذي قطعته في الكنيسة بالأمس؟».

ضاقت عيناه حتى استحالتا خطين خضراوين، لكنه أجاب: «نعم».

- وأنا أنوي الحفاظ عليه.

وتجاهلت حاجبيه اللذين ارتفعا، وتابعت: «سأفعل. إذ أعطيت زواجنا فرصة».

سألها هازئاً: «في السراء والضراء؟».

قالت بصوت عالٍ: «نعم، ولعلنا سنعيش في «السراء» إذا ما بذلنا نحن الاثنين جهدنا».

- حسناً يا زوجتي العزيزة.

ثم أمسكها من معصميها، وأوقفها على قدميها بحركة سريعة، وقال: «أما وقد خاب ظني من جهة، فأرجو ألا تخيبيه في الأمور الأخرى».

صدمها الغضب الذي لا يزال يغلي تحت مظهره الخارجي الهادىء، فراحت ترجوه ببؤس: «أرجوك يا ثاندر...».

وعدها قائلاً: «سأفعل ما بوسعي. سأحاول جاهداً ألاّ أخيب ظنك».

وابتسم ابتسامة خبيثة ماكرة وأضاف: «إذا حاول مياشيم أن يحافظ عليكما في الوقت نفسه، وأعطى الاولوية لرودا، فلا بد أنه خيب ظنك مراراً».

كان يتعمد إيذاءها وجرح شعورها، لكنها لو حنثت بوعدها الآن، هذا إذا ما سمح لها بذلك، فستفقد أيّ أمل بإنقاذ زواجهما.

لكن، حين جذبها نحوه، أخافتها قوته الرجولية التي لم يصقلها الحب، فتصلبت فجأة مذعورة، وحاولت أن تدفعه بعيداً عنها.

ثبتتها ذراع حديدية ومنعتها من التحرك، ثم أجبرها على رفع وجهها نحوه وعانقها بشغف قضى على أي مقاومة لديها وجعلها تشعر بدوار.

فجأة، رفعها بين ذراعيه وحملها نحو غرفة النوم حيث رماها على السرير، بعدم اكتراث لها كامرأة.

نهضت ميا عن السرير، وقلبها يخفق بسرعة قصوى، ثم وقفت، وتلعثمت قائلة: «أنا . . . أنا مضطرة للذهاب إلى الحمام».

وفرت من الغرفة. وما إن أغلقت الباب وراءها حتى راحت تقاوم رغبة في إقفاله بإحكام، فقد شكل القفل الصغير، في تلك اللحظة، حماية نسبية لها. لكنها أدركت أنها لا تستطيع أن تمضي الليل بطوله في الحمام. وإن حاولت أن تفعل، فسيكسر الباب ويجبرها على الخروج عنوة، أو سيسخر من تأكيدها على إمكانية إنجاح هذا الزواج.

وبعدما استحمت ونظفت أسنانها، رفعت ميا الملابس التي وضعتها على الكرسي، ولكنها أدركت أن من الغباء أن تعود إلى ارتداء ملابسها مجدداً. وماذا عن الخروج؟ لن تتمكن من الخروج شبه عارية، فارتدت ملابسها الداخلية، تحث نفسها على التماسك قبل أن يأتي ثاندر بحثاً عنها.

شعرت بأنه لن يأتي حتى وإن أمضت الليل كله في الحمام. فقد أظهر لها طريقة التصرف التي ينوي اعتمادها، ليجبرها على اتخاذ القرار النهائي.

ترددت خائفة من العنف الذي أثارته فيه، إنما، لا يمكنها أن تعود إليه، كبطلة إحدى القصص، وترجوه قائلة:

- كن لطيفاً معي. . .

خنقت رغبة هستيرية في الضحك وفتحت الباب متوجهة نحو غرفة النوم. ومع أن ثاندر كان في السرير إلا أنه بدا جلياً أنه استخدم الحمام الآخر. فقد كان شعره الاسود الكث مجعداً قليلاً ومبللاً، كما حلق ذقنه.

كان مستلقياً بكسل، وقد وضع يديه تحت رأسه.

وحين ترددت، سألها بلهجة لاذعة: «هل ستمضين الليل واقفة هناك؟».

أجابت بصوت أجش: «لا، بالتأكيد لا».

-إقتربي، إذن.

لم يكن طلباً إنما أمراً، فانصاعت له وهي تحس أن أطرافها قد تجمدت من البرد ومن نظراته الناقدة. كانت عيناه تجولان على كل ثنية من ثنايا جسمها، دعاها إلى الفراش، ثم قال لها بعنف: «بالله عليك. لا تنظري إليّ

هكذا وكأنك خائفة مني حتى الموت!».

قالت وهي تحاول ألا تحدق فيه: «ليس الامر كذلك لكني لم أتخيل. . .».

أنهت كلامها بصرخة صغيرة حين رفعها بحركة مفاجئة ووضعها على السرير قربه. أخذ يعانقها بعنف وشغف، وارتجفت حتى أعماقها بسبب عاصفة المشاعر التي أثارها فيها. فبالرغم من غضبه، لم يكن عنيفاً معها، بل على العكس، أظهر عطفاً وحناناً لم تتوقعهما. والواقع أن العكس ما حدث لأنه عاملها بكل رقة ممكنة حتى عجزت عن إبداء أية مقاومة واستسلمت لذراعيه تجرفها مشاعرها. . .

عندما تركها بعد قليل واستلقى على جنبه، مديراً لها ظهره، أحست وكأنها منبوذة، ولم تتمكن من كبت دموعها.

ولعل صوتاً مختنقاً صدر عنها، إذ استدار وجذبها نحوه، واضعاً رأسها على صدره، ثم قال بفظاظة: «لا تبكي لم أقصد أن أؤذيك».

لم تكن تبكي لأنه آذاها، بل لأن لقاءها مع فيليب قضى على ليلة زفاف سعيدة.

استسلمت للنوم والدموع لا تزال جارية على خدّيها. استفاقت مرة خلال الليل، لتجد نفسها قرب ثاندر ورأسها ملقي على كتفه، تحركت قليلاً، لتدنو منه أكثر، ولم تنتبه إلى أنه مستيقظ إلا حين سألها بلطف: «هل تريدين شيئاً ما؟».

واستدار نحوها، ثم جذبها إليه وراح يمسح على شعرها، ويلامس خديها بأصابعها. ثم عانقها بشغف وشوق، فجرّها معه إلى عالم من الإحاسيس الجامحة والمضطربة التي لم تتمكن من مقاومتها. . في هذه المرة، كانت تشعر بوضوح أكثر بمدى شغفه وكانت تسمع صوت خفقات قلبه.

وحين استيقظت أخيراً، وجدت الغرفة مضاءة بنور الصباح. رفعت شعرها الذهبي عن عينيها، وأدارت رأسها فوجدت ثاندر مستلقياً بهدوء يراقبها.

وفكرت حالمة بأن عينيه رائعتين من حيث الشكل واللون، عينان تجعلان الرجل العادي مميزاً، وهو لم يكن عادياً البتة.

تمطت وابتسمت له بكسل، فقد جسّد كل ما تمنته في زوجها. فهو حنون ومستبد، بارع وشغوف، حساس ورقيق بالرغم من مظهره الخارجي القاسي.

وتذكرت فجأة الشجار الذي سبق ليلة زفافها، فغشيت غمامة حزن عينيها.

ضاق فكّه وسألها: «هل أدركتِ أن في فراشك الرجل غير المناسب؟».

ـ لم يحدث قط أن كنت مع فيليب أو مع غيره في فراش واحد.

ـ من المؤسف أنك لم تخبريني بذلك وإلا لترفقت بك ولم أؤذك.

ـ لا أظنك كنت ستصدقني حتى لو أخبرتك.

فاعترف باختصار: «على الأرجح».

أحست بخيبة أمل غريبة، وبعد لحظة تجرأت وقالت له:

ـ ظننت أنك ستسر للأمر.

قال لها مؤكداً: لقد سررت للغاية، لكنني لا أنفي أنني حائر قليلاً. قلتِ لي إنك تحبينه؛ فلما لم تقيمي علاقة معه؟ ولا تقولي لي إنه لم يرد ذلك!

ـ نعم، أراد ذلك، لكني لم أستطع... بدا الامر دنيئاً للغاية، أن أخدع رودا بهذه الطريقة.

ـ لكنه كان يخدعك، فقد استمرت علاقته بها في حين كان يقسم بأنه يحبك أنتِ.

ـ لا أريد التحدث عن فيليب.

كما لم تشأ أن تفكر فيه. وسألها ثاندر، كما لو أنه يقرأ أفكارها: «إلى أيّ حد يزعجك التفكير فيه؟».

فأجابت: «وإلى أيّ حدّ يزعجك التفكير في جاكلين؟».

لكنها تمنت لو لم تذكر عارضة الأزياء الفاتنة تلك. إذ وافقها ثاندر

قائلاً: «أصبت الهدف».

ثم سألها بفظاظة: «لم تخبري مياشيم بأننا سنتزوج؟».

ـ وهل كان عليّ أن أفعل؟ فكل ما بيننا انتهى. وما فعلته لا يعنيه، وكان سيحاول...

ـ سيحاول أن يجعلك تغيرين رأيك؟

أومأت بالإيجاب، ثم أضافت بكآبة: «لم أتصور أنه سيحضر الزفاف».

ـ ولم أتصور قطّ أنك ستتسللين لملاقاته.

إذن، لم يصدقها بعد!

ومنعها عنفوانها من الإنكار مجدداً، فصرّت على أسنانها والتزمت الصمت. لكن أصابعها شدت تلقائياً على الغطاء، مما فضح اضطرابها.

عبس ثاندر ثم تمطى كهر كسول وكأنه يحاول طرد الغمامة التي جاءت تعكر صفو صباحهما، وقال: «حسناً يا امرأة، هل ستنهضين من الفراش أم ماذا؟».

وعكست الومضة المفاجئة في عينيه ما عناه بسؤاله، فرفعت أنفها الصغير نحو الأعلى، إذ منعها خجلها من الاعتراف بأنها تود البقاء في السرير، ثم قالت له بتكبر: «سأنهض».

تركت فراشها الوثير، ووضعت عباءتها على كتفيها لتتوجه نحو الحمام، وقد أدركت أن ارتباكها يسليه ويضحكه.

كانت متمددة في المياه الساخنة المعطرة حين فتح ثاندر الباب ودخل. كان يرتدي ثياباً أنيقة غير متكلفة، ويحمل فنجاناً من الشاي، وضعه على الجانب المسطح من المغطس. ثم وقف إلى جانبها، بغطرسة سلطان، وراح يتأملها برضى جعل الحمرة تزحف إلى وجهها.

ولم يشفق عليها ويرحمها من نظراته المتفحصة إلا حين بدت غير مرتاحة كلياً، وأخذت تتململ فتوجه نحو الباب وهو يقول: «سيجهز الفطور بعد عشر دقائق».

وقف في الباب، وقطب جبينه بإحكام قائلاً: «عندما يتزوج المرء

يصبح لديه حقوق. وها أنا أعمل في المطبخ، وأحضر الطعام بينما زوجتي تمرغ وتتقلب في المياه كفرس راضية».

تحرك بسرعة، فأصابت الإسفنجة التي رمته بها الباب المقفل. وتناهت إلى مسامعها ضحكته الناعمة وهو يبتعد، في حين راح قلبها يخفق بسرعة.

حبذا لو كانت الأمور مختلفة. حبذا لو تزوجها عن حب لا من أجل إبعادها فقط عن طريق رودا أو بسبب حاجته إلى زوجة. لكنه لم يكن يحبها، ولن تشكل عبارة «حبذا لو» أيّ فرق.

عندما انتهت ميا من تجفيف نفسها، ارتدت فستاناً بسيطاً من القطن، له ربطتان عند الكتفين. ثم حاولت جهدها أن تبدو متماسكة وواثقة من نفسها وتوجهت نحو غرفة الجلوس.

كان المنزل جميلاً ومريحاً، مزيناً بألوان زاهية وهادئة أضفت عليه جواً من الرحابة والبهجة. بدا كمسكن رجل يحب التحرك بسهولة وحرية ويفضل العيش الحديث والأنيق إنما دونما فوضى.

كان الطقس في الخارج حاراً لكن أقل رطوبة من الليلة الماضية. وفي الجهة الخلفية للمنزل، لاحظت أن الأرض تنحدر بحدة، وأنّ الشرفة الرازحة تحت أشعة الشمس تطل على منحدر مغطى بالأشجار وعلى حدائق معلقة وأسقف منازل تنتشر في البعيد. كما رأت على طاولة تعلوها مظلة فطوراً كاملاً، وثاندر ينتظرها هناك.

سحب لها كرسياً، فجلست وسكبت لنفسها كوباً من عصير البرتقال البارد وأخذ هو يساعدها على تقطيع شرائح البيض واللحم. أحست بالجوع وبرغبة في الأكل، فراحت تلتهم طعامها، لكنها توقفت فجأة حين تنبهت إلى غرابة هذا الوضع وشرعت تقول: «كيف تمكنت...؟».

ضحك ثاندر، مما جعل عيناه تتلألأن وأسنانه الرائعة تظهر، ثم شرح لها الأمر: «يعيش بالقرب من هنا زوجان صينيان، ليلي وامغا شان وهما يهتمان بالبيت فامغا يعتني بالحديقة ويفخر بعمله، زوجته تنظف المنزل وتتبضع وتطبخ الطعام».

فاتهمته ميا وهي تمسح الزبدة على قطعة خبز: «لم تكن إذن تعمل في المطبخ أو تحضر الطعام؟».

أشار بابتسامة عريضة: «وهل خابت آمالك؟ لكني كنت أفعل في الواقع. قلت لليلي أن تحضّر المنزل لنا، على ألا تأتي دائماً إلا لتحضر لنا العشاء من وقت لآخر. ظننت أن وجود شخص آخر في المنزل قد يزعجنا».

كان لجملته الأخيرة التي أضافها بنعومة ورقة، وللمعاني التي حملتها، وقعاً خاصاً على ميا فاحمر وجهها خجلاً.

ارتباكها أرضى ثاندر الذي سكب القهوة لكليهما وسألها بهدوء: «أتعتبرين هونغ كونغ خياراً جيداً لتمضية شهر العسل؟».

ـ أنا... لا أعلم لكني واثقة من أن هناك الكثير لنقوم به.

التمعت عيناه مكراً وسألها: «أتعتبرين أنّ الكثير لنقوم به شرط لازم للمتزوجين حديثاً؟».

قررت ألا تدعه يزعجها ويربكها، فرمقته بنظرة هادئة وقالت بترو: «هناك حد لكل شيء حتى بالنسبة للمتزوجين حديثاً، فهم يحتاجون للتنويع».

همس: «أتراهنين؟».

تسارعت دقات قلبها بجنون من النظرة التي رمقها بها من خلال أهدابه الكثيفة الطويلة التي تكاد تصل إلى وجنتيه. فقد كان سحره لا يقاوم.

هبّت واقفة وتوجهت نحو حافة الشرفة، وهناك عبث نسيم دافىء بخصلات شعرها الحريري الأشقر، وتغلغل في طياته.

تبعها ثاندر ووقف خلفها، وراح يمرر راحتيه على بشرة ذراعيها الناعمة، وعندئذ لم تعد ميا ترى هذا الجمال المترامي أمامها وباتت لا تشعر إلا بهذا الرجل الذي كان يلمسها بنزعة تملكية.

ومال برأسه الأسمر، وراح يقبل شعرها، ويلامس عنقها بأصابع خبيرة، جعلت الرعشة تسري في عروقها، ثم طوّقها بذراعيه القويتين، وسحبها نحو الخلف لتستند إليه. أحست وكأن تياراً كهربائياً قوياً صدمها، وتركها مشلولة، عاجزة عن الإعتراض أو الحركة حتى وإن أرادت ذلك.

تبعت أصابعه انحناءات كتفها وعنقها حتى وصلت إلى أذنيها، قبل أن يديرها نحوه ويقول لها برقة: «يمكننا أن نخرج إذا أردت ذلك».

وفيما كان يتكلم، وجدت ميا نفسها تتأمل وجهه وفمه. . . وشعرت بحمى تسري في عروقها. ثم عاد يقول بسخرية ناعمة: «هيا!».

- ماذا؟

وحوّلت عينيها عن فمه لتنظر إلى عينيه اللامعتين.

- فلنعد إلى الفراش، هيا بنا.

- لا!

رفضت بسرعة، فحفاظاً على كرامتها لا بدّ من شيء من المقاومة. لكن أصابعه راحت تتغلغل في شعرها وأمسك برأسها، ليعانقها بنعومة ورقة.

ابتعدت عنه واعترضت قائلة: «قلت بإمكاننا أن نخرج».

فحبسها بين ذراعيه مجدداً وقال: «نعم بعد حين».

وبالرغم من أنه كان يقاصصها على محاولة المقاومة الفاشلة التي قامت بها، إلا أنه فرض سلطته عليها بلباقة وخبرة، جعلتها تفقد السيطرة على أحاسيسها.

وبعد حين، بذلت ميا جهداً لتنهض من فراشها بعدما أنهكها سيل الاحاسيس والمشاعر المتدفق. استحمت وارتدت ثوباً قطنياً مقلماً، ثم توجهت إلى غرفة الجلوس حيث كان ثاندر بانتظارها بعد أن طلب سيارة أجرة.

- هل كنت تملك سيارتك الخاصة حين كنت تعيش هنا؟

أن يكون لها زوج أمر جديد عليها، فأحست بحاجة إلى التحدث إليه لتخفي خجلها، واضطرابها.

وكان يعي سبب سؤالها، فابتسم لها وأجابها: «لا، لم أكن أحتاج لسيارة في هونغ كونغ، فالمواصلات جيدة وفعالة وكنت أستاجر واحدة عند الحاجة».

وما إن أنهى حديثه، حتى سمعا صوت بوق أشار إلى وصول سيارة الأجرة.

- هل نحن ذاهبان إلى مكان معين؟

سألته ذلك وهما يترجلان من السيارة أمام فندق «هيلتون» في منطقة المصارف والأعمال في هونغ كونغ. ردّ عليها ثاندر قائلاً: «فكرت في اصطحابك إلى فيكتوريا بيك».

قالت ميا وهي تنظر إلى السيارة التي أقلعت: «هل سنسير؟».

هزّ ثاندر رأسه: «كان بإمكاننا أن نصعد بالسيارة. والقمة أكثر الأماكن ازدحاماً في الجزيرة، وهناك طريق جيد يؤدي إلى الأعلى، لكني قررت أن نتسلى ونركب بالترام».

تقع محطة الترام على بعد خطوات من فندق هيلتون. كانت الرحلة رائعة، إذ ترتفع القمة ٥٠٠ متر عن المرفأ، ويتوقف الترام في خمس محطات ليسهل صعود الركاب أو نزولهم. وفيما كانا يتوجهان صعوداً بين الأشجار، بدأت ناطحات السحاب تختفي لتفسح المجال أمام منظر طبيعي رائع.

وعند القمة، تربع «برج القمة» على عرشه، مسيطراً على الأبنية المحيطة به. . . كان مصمماً على شكل سفينة عاجية اللون، وكان يغص بالناس.

وبينما كانا يتجولان بين المتاجر والمحال، وبعد أن توقفا لتأمل الرسومات المعروضة وفن الحفر على حجر الجاد، تصلبت ميا فجأة، إذ رأت أمامها رجلاً طويلاً نحيفاً، ذا شعر أشقر مميز، فراحت تحدق فيه وقلبها يتخبط بين ضلوعها، لكن حين التفت نحوهما، تبينت ملامحه الفتية الوسيمة.

فأطلقت النفس الذي حبسته في صدرها. لا، لم يكن فيليب، ولم يكن حتى يشبهه كما خيل لها في البدء.

رمقت ثاندر بنظرة خفية، فوجدته يتأملها وقد ارتسم الغضب على ملامحه. تلعثمت وهي تبرر نفسها: «أنا. . ظننت. . .».

فرد بفظاظة: «أعرف ما ظننته. لا بد أنك أمضيت كل دقيقة تفكرين في مياشيم حتى استحضرته حين رأيت أول رجل طويل أبيض اللون؟».

ـ أنت مخطىء! لم أنكر حتى . . .

وقبل أن تجد الكلمات اللازمة لتقنع ثاندر بأنه مخطىء، سيطر هذا الأخير على غضبه وغيّر الموضوع وسألها بهدوء: «هل أنت جاهزة لتناول الغداء؟».

استعملا المصعد ليصلا إلى مطعم البرج البيضاوي الشكل. كان المطعم عالياً كوكر نسر، يطلّ على الشاطىء الشمالي والمرفأ وعلى كاولون في الجهة الاخرى.

وبعد أن طلبا الطعام، ساعد ثاندر ميا على تناول سلطة من ثمار البحر اللذيذة، وراح يخبرها عن هونغ كونغ، وكأنه يحاول تجاهل ما جرى من قبل.

استمعت إلى صوته الخفيض، المثير، وهي تتأمل وجهه، بحاجبيه الكثين وعظامه البارزة، وبفمه الحازم الحساس. لكن، حين رفعت ناظريها، تبين لها أنها لم تكن المرأة الوحيدة المتعلقة بهذا الوجه.

لقد لفت أنظار معظم النساء في المطعم، فصعقتهن رجولته كريح البراري. لكن ميا رأت أن هذا الأمر لا يبرر نظرات تلك الشقراء الجالسة على مقربة منهما.

كما لم يكن مضطراً هو للنظر إليها بهذا التقدير الهادىء بعد أن لاحظ اهتمامها الظاهر.

وصدمتها فكرة راودتها فجأة. لا يمكن أن تكون. . .؟ لا بالتأكيد، لم تكن تغار منها. ومن السخف أن تشعر بالغيظ وبالتملك لأن امرأة أخرى تحاول جهدها كي تثير إعجابه.

وحين رفعت ميا ذقنها، ابتسمت لها عينا ثاندر، اللتان زينت لونهما الاخضر ذرات ذهبية، فخطفت تلك الإبتسامة أنفاسها. لكنها لاحظت ابتسامة طفيفة ساخرة على شفتيه، وشعرت بأنه اكتشف أفكارها وعلم بأحاسيسها بدقة.

ـ لا بد أني أعرفك؟

تركت الشقراء رفيقها الوسيم، ووقفت، متجاهلة ميا كلياً، ومركزة

أنظارها على ثاندر. كانت امرأة جميلة، أنيقة، لكنها أكبر سناً مما بدا لميا للوهلة الاولى.

ووقف ثاندر تهذيباً واحتراماً.

فأضافت الرؤيا: «أنا ربيكا منروز، أنا واثقة من أننا التقينا في سان موريتز في شباط».

فأجابها ثاندر، بأدب: «أخشى أنك مخطئة. . . لم أتزلج منذ سنوات».

سألته العينان الزرقاوان ببراءة: «ألم تكن في سان موريتز؟ إذن، لا بد أننا التقينا في مكان آخر. فأنا لا أنسى الوجوه أبداً».

وأضافت نظرتها: «خاصة وجه وسيم كهذا».

وعندما لم يجب ثاندر، تابعت تقول: «ينهي زوجي في ماكاو بعض الأعمال وأحس بالوحدة أثناء غيابه. لهذا، فكرت في أن أقيم الليلة حفلة صغيرة على يختنا أفروديت، لعلك تود أن تحضر؟».

كان ما عنته جلياً، وكانت الدعوة أكثر وقاحة.

قال لها ثاندر برقة: «لطف منك أن تدعينا، لكن أخشى أنني وزوجتي متعبان، فشهر العسل قد يكون شاقاً».

زمّت الشقراء شفتيها المصبوغتين وارتدّت على عقبيها، متوجهة نحو رفيقها لتغادر معه المطعم.

وعاد ثاندر ليجلس على مقعده ويستأنف تناول طعامه. أحست ميا براحة داخلية حين رحلت تلك المرأة. لقد انزعج جداً لما اعتبره هاجساً بفيليب حتى أنها تساءلت إن كان سيشجع الشقراء عمداً. وشعرت الآن بالخجل لهذه الأفكار التي راودتها، فثاندر رجل متوازن، بالغ وليس مراهقاً ينجّر وراء أهوائه، ويعاملها بالمثل.

في الأسبوع التالي، شاهدا ما أمكنهما مشاهدته خلال أوقات فراغهما، وأصبحت كل رحلة، بالنسبة لميا، متعة مثيرة، ووجدت نفسها توّاقة ليس إلى اليوم التالي وحسب، بل إلى مشاركته مع ثاندر.

وركبا الترام إلى شاكلوان، قرية الصيد القديمة، وتجولا في شوارعها

الملونة، وأكلا الديم سوم ثم توجها نحو حديقة الحيوانات.

كان ثاندر يضحك لسلوك بعض القرود، حين لاحظ صبياً صغيراً يكافح ليراها، فرفعه فوق الحشد وأجلسه على كتفه. وراحت ميا تفكر في أنه يحب الأطفال ويبدو أن هؤلاء يحبونه أيضاً، وأنه سيكون أباً صالحاً.

ومع مرور الأيام، راحت تتعلم أشياء جديدة عن هذا الرجل الغامض، عن زوجها. واكتشفت أنه قادر على الشفقة من دون عاطفة، وعلى اللطف من دون تنازل. كما كان منظماً وليس مملاً، مميزاً وليس صعب الإرضاء، رومنسياً وليس عاطفياً إلى حد صبياني.

حين رأته للمرة الأولى شبهته بالماس الخام بسبب قامته المهيبة وجاذبيته الرجولية، وبنيته القوية، لكنها عرفت الآن أنه مصقول بشكل خطير، وأنه رجل ذكي، مثقف، متمدن، إنما قادر على التمتع بالملذات البسيطة التي تقدمها رحلة إلى حديقة الحيوانات.

ظنّت ميا أن ما تشعر به نحو ثاندر لا يتعدى الإنجذاب، لكنها أدركت الآن خطأها. فما تشعر به يفوق ذلك، يفوق ذلك بكثير، إنه هوى يزداد قوة مع مرور الوقت حتى يكاد يصبح هوساً.

كانت تشعر به وبوجوده في كل لحظة. وبالرغم من أنها كانت تستمتع بجولاتهما، إلا أنها كانت تنتظر أمسياتهما بلهفة عجزت عن إخفائها، فما أن ينظر إليها أو يلمسها حتى تتسارع دقات قلبها ويضج الدم في عروقها.

***

٧ ـ حلم يتحقق . . .

في إحدى الليالي، أطالا السهر، فاستفاقا في اليوم التالي متأخرين، وكان أن قررا الإستغناء عن وجبة الفطور بناء على اقتراح ثاندر.

وعقدا العزم على التوجه إلى سوق الجاد في كاولون، فسارا قرابة الميل ليصلا إلى مرفأ مخصص لنقل الركاب. اجتازا الأبواب الدوارة المزدحمة في المرفأ، وصعدا على متن المركب الأخضر والأبيض «نجمة الصباح»، ليقوما بالرحلة القصيرة على المياه الأكثر ازدحاماً والأكثر رومنسية في العالم.

كان معظم الركاب من السياح، فراح أولئك الذين يحملون آلات التصوير يلتقطون الصور للواجهة المائية الشهيرة.

وقفا عند الحاجز . . . وكان ثاندر يضع ذراعه حول خصر ميا. فجأة، قال لها: «أنظري إلى يسارك».

أبحرت قربهم، وعلى المياه المتلألئة، سفينة شراعية صينية مقفرة ومثيرة، كئيبة بشكل ملفت بأشرعتها السوداء.

حبست ميا أنفاسها لأن تلك السفينة الشبح أثرت فيها كثيراً. . ولمّا رمقت ثاندر بنظرة خاطفة أدركت أنه متأثر أيضاً، مع أنه من الصعب قراءة تعابير وجهه الهادئة.

استندت إليه برضى واعترفت أنّ صفات زوجها كلها تعجبها. فهي تحب نفاذ بصيرته وتفهمه، حبه للجمال والنظام، ذكاءه المتوقد ونظرته الإيجابية إلى الحياة.

رست السفينة، فأمضيا ما تبقّى من صباحهما في سوق الجاد الرائع،

حيث غمر كل زاوية منه سحر أخضر من الأحجار الكريمة.

وقرابة الساعة الواحدة، سألها ثاندر: «هل أنت مستعدة لاستراحة الغداء؟».

وعندما أومأت بالإيجاب، فاجأها بجرها نحو كشك طعام في شارع خلفي. جلسا تحت أغصان البامبو، على إحدى الطاولات المتداعية الموضوعة على الرصيف المغبّر، واستعملا العصي، التي أصبحت ميا خبيرة في استعمالها، ليأكلا الأرز الأبيض الذي يعلوه القريدس الوردي اللون والفليفلة الحمراء والخضراء والصلصة الحريفة.

أحضرت لهما فتاة غامقة العينين، ترتدي سروالاً من الحرير الأبيض، إبريقاً من الشاي المعطر بالياسمين، لكن ثاندر رفض مشاركتها إياه مفضلاً شرب القهوة.

وما أن أنهيا وجبتهما البسيطة هذه، حتى صعدا إلى متن المركب مجدداً ليعودا إلى الجزيرة. وتبعا طريق السياح على امتداد طريق هوليوود وشارع لادر، حيث عرضت البضائع تحت الشمس على شكل خلفية فريدة لسوق اسيوي خاص.

وأشعلت ميا، وهي تسعل، عيدان بخور في معبد مان مو الذي عبق بالبخور وطغى عليه اللون الاحمر كالجحيم بسبب نيرانه المقدسة وأكوام البخور المحترقة. وفيما كان ثاندر يتأملها، وضعت ميا النقود التي تحملها في صندوق للفقراء، قبل أن يتوجها نحو ممر ضيق أبوابه مفتوحة تفضي إلى غرف معتمة.

كانا يتسلقان شارعاً مدرّجاً ضيقاً، أضاءت الشمس نصفه، وتركت نصفه الآخر في الظل، حين توقف فجأة أمام متجر صغير، معتم، تكثر فيه اللفائف والأوراق والرموز الغريبة والفلكية... قال: «أود أن أدخل إلى هذا المحل».

جاءت كلماته بسيطة عادية، لكنها حملت في طياتها هدفاً خفياً، وأدركت ميا أنه جاء إلى هذا المكان عمداً، وفي ذهنه أمر ما.

وضع ذراعه حول كتفيها بكسل، ورافقها إلى الداخل وهناك رأت فتاة

ذات عينين شرقيتين سوداوين، وشعر أسود لامع، تجلس خلف طاولة غطيت بالكتب، والبطاقات وخرائط النجوم.

وبحركة ترحيب مهذّبة، لكن دون أن تبتسم، قالت لهما: «أنا آنا... أتودان معرفة المستقبل؟ ما تخبئه النجوم؟».

شرعت ميا تهز رأسها، عندما قال ثاندر بجدية: «أود أن أعرف إن كانت إمكانيات ثنائي ما تبشر بالخير؟».

ـ أنت والسيدة؟

ـ هذا صحيح.

كانت ميا واقفة إلى الخلف، فأمسك بيدها وجرها إلى جانبه.

لم تدرِ لماذا شعرت بنفور غريب، وبدافع قوي للفرار من المحل. ولسبب ما غير منطقي، أنبأها حدسها بأن ما ستقوله الفتاة الصينية سيكون مهماً وسيشكل فرقاً. والأهم أنها لا تريد أن تسمع شيئاً خشيت أن يكون تنبؤاً سلبياً.

وضع ثاندر أصابعه على خصرها، وهمس لها في أذنها: «فكرت في أنك ستستمتعين بلمسة من اللون المحلي».

شعرت ميا براحة غريبة وسألته: «أنت لا تهتم فعلياً بالتنبؤات إذن؟».

فجاءها صوته الهادىء قاسياً وهو يقول: «آه، بلى... أنا أهتم للأمر».

تم الإتفاق على السعر ودفع ثاندر المبلغ سلفاً.

دفعت آنا نحوهما لفافة أوراق وراحت تشرح لهما: «أكشف خصائص سنوات الميلاد، ثم ألاحظ التطابق، فكل سنة يجب أن تتطابق مع أخرى للحصول على ثنائي جيد. هل تفهماني؟

سارع ثاندر إلى الرد: «نعم، نحن نفهم».

والتفتت آنا نحو ميا تسألها: «ما هو يوم مولدك؟».

فأجابتها بصوت متردد: «ولدت في العشرين من شهر نيسان».

ـ وسنة ميلادك؟

وعندما أعطتها ميا الجواب الذي تنتظره، هزت آنا رأسها وشرعت

تراجع أوراقها وخرائطها، ثم قالت: «إنها وفية، صحتها جيدة، تهتم بمظهرها، وتنجز الكثير بالعمل الجاد. وهي امرأة حساسة، غير مستقرة، كتومة، تخبيء عواطفها الحارة كأنفاس التنين خلف درع بارد كجلد التنين».

ثم ساد صمت عميق، رفعت آنا بعده رأسها ونظرت نحو ثاندر قائلة: «من فضلك، حدّد لي يوم مولدك؟».

ـ العشرين من كانون الاول.

ـ سنة مولدك من فضلك؟

فاستجاب لطلبها.

ـ إنها سنة الحيّة. الحيّة برج جيد وجميل، لا يفهمه الكثير من الناس. يملك الرجل المولود في سنة الحية السلطة، السحر، والجاذبية للفت أنظار الجنس الآخر. الرجل المولود في سنة الحية حكيم، منظم، يحافظ على خصوصياته، وهو قوي، مؤمن، يحمي من يحب.

وضمّت آنا راحتي يديها الصغيرتين كما لو أنها تصلي ثم حدقت في خارطة دائرية الشكل.

كان من السخف أن تهتم ميا للأمر بهذا الشكل، لكنها حبست أنفاسها حتى أحست بألم غريب يعتصر معدتها.

وللمرة الأولى، ابتسمت آنا، كاشفة عن أسنان صغيرة، ناصعة، وقالت: «يا للحظ السعيد! فالتنين والحية متناغمان، إنه ثنائي متناسب ومتلائم».

فجأة، تلاشى التوتر الذي أتعب أعصاب ميا، فتركها وكأنها مصابة بدوار.

وسمعت ثاندر يشكر الفتاة الصينية، فلما سكت شكرتها بنفسها، ورجت ألا يكون قد لاحظ مدى تأثرها.

عندما خرجا مجدداً إلى الجو المثقل بالغبار والحراره، أشار: «أتعلمين ما الذي لفتني؟ برجانا الانكليزيان متطابقان أيضاً، فالحمل والقوس برجان ناريان. نحن فعلاً ثنائي متناسب».

وما إن وصلا إلى الطريق الرئيسي، ورفع يده ببراعة ساحر يمارس إحدى خدعه المميزة، حتى توقفت قربهما سيارة أجرة حمراء وفضية.

وصلا إلى المنزل، فوجدا السيدة شان وهي امرأة قصيرة ونحيفة، شاحبة البشرة، سوداء الشعر والعينين، في المطبخ تحضر لهما العشاء.

قال ثاندر: «لدي إتصال عمل أجريه، وبعدها سأطلب من ليلي أن تحضّر لنا شراباً منعشاً».

ثم اختفى في الداخل، أما ميا التي أضناها السير طيلة النهار على الأرصفة الحارة فتوجهت نحو الشرفة لتجلس على إحدى الارائك.

لقد طرد الليل النافذ الصبر النهار المتخلف، واختفى الغسق فجأة ليترك وراءه سماء عميقة الزرقة، مخملية، مرصعة بنجوم متلألئة، وحمل النسيم العليل إليها عطر الأشجار والزهور وشذا الشرق المتنوع الذي اختلط بدوامات الدخان اللاذع المتصاعدة من لفافات «المون تايغر» المخصصة لقتل البعوض.

وفكرت ميا في أنها إذا ما عاشت مئة عام، ستتذكر دوماً هذه الرائحة. ومهما حصل في المستقبل، وإن تحققت النبوءات أم لم تتحقق، فستحملها هذه الرائحة لتعيدها إلى هونغ كونغ وشهر عسلها وثاندر.

إنه رجل غامض، وبالرغم من الحميمية المتزايدة في ما بينهما، ما زال لغزاً بالنسبة لها. لماذا سأل عن إمكانيات نجاح زواجهما؟ ولماذا أحست أن الجواب مهم للغاية؟

منذ التقيا للمرة الأولى، حصل انجذاب بينهما، انجذاب النقيضين. انجذاب الأبيض للأسمر، الضعيف السهل الإنكسار للسلطة والقوة. ولكم حاولت أن تقاوم هذا الشعور، منذ البدء، ولكنها لم تدرك إلاّ الآن أنه لم يكن انجذاباً جسدياً وحسب إنما هناك قوة أعظم تدفع أحدهما نحو الآخر. قوة ملأت قلبها وعقلها وسيطرت على جسدها وروحها. أسمتها شغفاً وهوساً إنما لم تطلق عليها يوماً اسم الحب.

لكن هذه هي حقيقة شعورها.

غمرت ميا السعادة، فهي تحب ثاندر وودّت لو تصرخ عالياً، معلنة

حبها على الملأ. ودّت أن تخبره، أن تقول له إنّ فيليب لا يعني لها شيئاً، وإن عليه إلا يغار منه.

لكنها عادت وأبَت نفسها، فهو لم يكن غيوراً. إن الشعور بالغيرة يرتبط باهتمامه بها، وجلّ ما يشعر به نحوها هو حبّ التملك الذي يحسّ به كل ذكر نحو ما يعتبره أنثاه.

وأدركت فجأة أن الاعتراف بحبها له هو آخر ما يمكنها أن تفعله.

أحست بصقيع قارص أذبل فرحتها، وتذكرت ما قاله في الليلة التي سبقت زواجهما: «أنا أحب التحدي، لكني حققت هدفين من أهدافي الثلاثة بسهولة أكبر مما توقعت. . . أن ألفت نظرك وأن تتزوجيني».

وسمعت نفسها تسأل: «هل لي أن أعرف الهدف الثالث؟».

فجاء رده: «أن أجعلك تحبينني».

ارتعدت ميا، فأن تحبه وأن تكون له كلياً نعمة لو أنه يحبها. لكنه لا يحبها، بل على العكس، فقد بدأت علاقتهما بكره لها، ولا يتعدى الأمر كونه رغبة جسدية بحتة من طرفه.

وفكّرت بكآبة بأن عبارة «رغبة جسدية بحتة» عبارة بشعة، لا علاقة لها أبداً بما جرى بينهما، وبالعواطف والأحاسيس المتبادلة بينهما.

لكن لو اكتشف ثاندر حبها له، لأحكم سيطرته عليها، ولو علم أنها تحبه لأدرك أن مصالح رودا في مأمن. . .

لا، لن تخبره من أجل كرامتها وكبريائها. وعندما يُشبع رغبته ويتعب ويملّ من صحبتها، فسيفقد اهتمامه بها وتصبح امرأة لا تعني له شيئاً. وهذا سرعان ما سيحدث. . إن حقق هدفه الثالث وربح التحدّي فستصبح الزوجة التي لا يحتاجها. الزوجة التي يمكنه التخلص منها بسهولة ما أن يتسلم زمام الأمور في المصرف.

إنما، حين سألته إن كان سيحافظ على العهد الذي قطعه في الكنيسة، رد بالإيجاب دون تردد. فهل عنى حتى الممات أم للفترة التي تناسبه؟

سمعت حركة خفيفة، فالتفتت ورأته يرتمي على كرسي قربها. بدت نظرته كسولة، لا تحمل أيّ تهديد، إنما اكتشفت خلف هذه النظرة حدّة

اربكتها. أحست وكأنه خمّن ما يدور في ذهنها بالتحديد، إذ تأملها للحظات بصمت، ثم سألها برقة: «هل تؤمنين بالتنبؤات الفلكية؟».

وحين ترددت، لأنها شعرت بوجود شرك، أضاف: «ظننت أنك تفعلين، فقد بدت ملامحك جادة للغاية».

أجابته بحذر: «أنا. . . أنا لست واثقة من أنني أؤمن بذلك».

ـ لكن، هل أنت واثقة من أنك لا تؤمنين بها؟

ـ حسناً، أنا. . . أنا لا أعتقد أنها خاطئة كلياً.

وما أن أنهت كلامها حتى أدركت أنه كان من الأفضل لها أن تلتزم الصمت.

هبّت واقفة، واتجهت نحو حاجز الشرفة لتستند إليه، ثم شدت بقبضتيها المضطربتين على الحجر الأملس الناعم الذي ما يزال يختزن حرارة الشمس. أدركت أن ثاندر تبعها، وأنه يقف خلفها، فراحت تتأمل المنظر الطبيعي الممتد أمامها دون أن تراه.

ألحّ عليها قائلاً: «أنت تتحلين ببعض الإيمان إذن؟».

أجابته يائسة: «ببعض منه».

وأطبقت عليها المصيدة، إذ أضاف: «لقد ارتحت حين تبيّن لك أننا متناسبان».

لا جدوى من النكران. شعرت وكأنها تختنق، فلم تنبس ببنت شفة.

ـ ارتحتِ لدرجة جعلتني أتساءل عما إذا تغيّرت مشاعرك؟

ـ أنا. . . لا أفهم ما تعنيه.

ـ لعلي حققت هدفي الثالث؟

فأجابت وقد تسارعت دقات قلبها: «لا، لم تفعل. أنا لا أحبك، ولن أحبك أبداً».

جذبها إلى الخلف نحو جسمه القوي ثم وضع إحدى يديه على قمة معدتها والأخرى على قلبها، فسحبت نفساً عميقاً وهو يصحح لها كلامها قائلاً: «ما تعنينه هو أنك لن تعترفي أبداً».

ثم أضاف بصوت يحمل تهديداً ناعماً مبطّناً: «إلا إذا تعبتُ من

الانتظار، وهذا ما قد يحصل، فأجبرك عندها على الإقرار. . . ».

سمعا حركة في غرفة الجلوس خلفهما، ثم ظهرت السيدة شان، وهي تحمل صينية عليها كوبان من الشراب مع الثلج.

تنفست ميا الصعداء، وتنهدت، فقال لها ثاندر بفظاظة: «إنه مجرد إرجاء».

واستمر الطقس جيداً، فقاما برحلات يومية أبقتهما خارج المنزل من الصباح الباكر وحتى الغروب.

وخلافاً لما قاله ثاندر ذاك المساء، بدا مستعداً للتحمّل، ولم يحاول انتزاع أيّ اعتراف منها. وحين أدركت أنّ ما من تهديد مباشر وقريب، أخذت ميا تسترخي مجدداً وتستمتع بوقتها، أثناء النهار على الأقل.

أما ليلاً فقد اختلفت الأمور، إذ حمل المساء معه القلق والخوف. خوف من أن يفتضح أمرها ويكتشف حبها له.

حاولت أن تقاوم سحره وخبرته لكنها لم تفلح. وفي لحظات الشغف أجبرت عقلها على التيقظ لئلا تبوح بسرها وتعترف بضعفها.

وحلّ يوم الخميس مشمساً وحاراً، فلم يغادرا الفراش حتى منتصف الصباح، وأخيراً قررا أن يستحما ويرتديا ملابسهما.

ولم يأت ثاندر على ذِكر عيد مولدها، فافترضت ميا أنه نسي الأمر. وحاولت ألا تظهر خيبة أملها، فانتظرت حتى أنهيا فطورهما لتسأله: «ماذا سنفعل اليوم؟».

- سنبدأ بوجبة غداء مميزة. . . لقد وضعت برنامجاً لعيد مولدك. لحسن الحظ أن الطقس مناسب.

بقي كتوماً وصامتاً بشأن البرنامج، ولم يذكر شيئاً وهما يتجولان في الشوارع تارة تحت الشمس وطوراً في الظل. وهبّت رياح دافئة وشديدة، فحملت الغبار كدوّامات هزّت الأعلام والمظلات، وضربت مياه المرفأ لتحوّلها إلى موجات صغيرة متألقة.

وفي وسط المدينة، توجها نحو مطعم «المحارب القرمزي» الجذاب. وفي جوه المسرحي، المبهج تناولا وجبة لذيذة. وبعد أن مسحا أيديهما

بالمناشف الساخنة والمعطّرة التي أحضرها النادل، تناولا الحلوى وارتشفا شراباً منعشاً، قبل أن يتوجها نحو محطة الترام ليقصدا قمة فيكتوريا.

حين وصلا إلى القمة، ترك ثاندر وميا المنطقة الآهلة بالسكان واجتازا الحديقة العامة بأشجارها ونباتاتها الإستوائية ليصلا إلى بساط أخضر من العشب فوق هضبة وعرة.

وهناك، رأت كشكاً خشبياً بسيطاً، علّقت عليه مجموعة من البالونات الملّونة المتراقصة، وشباكاً مليئة بكرات لامعة، ودواليب هواء تدور بشكل مفرح، وقرود تتدلى بشريط مطاطي من عصي خشبية. وفي داخله، رأت بندقاً، وفوشاراً، وشوكولا وحلوى وسكاكر ومشروبات غازية وتذكارات مبهرجة.

أما المسؤول عنه ففتى شديد النحول، ذو بشرة مبثرة وغرّة سوداء ناعمة. كان ودوداً، كثير الإبتسام والثرثرة.

وفيما راح صبي صغير، يمسك بيد أمه، يقفز بتأثر وهو يراقب اسمه يخطط على بالون اختاره، ابتعد ثاندر مع ميا خطوات عن المكان. أدار وجهها نحو البحر اللامع، وقال: «انتظري هنا ولا تسترقي النظر».

عبثت الريح القوية الحارة بتنورتها القطنية وجعلتها تلتصق بساقيها الممشوقتين، كما تغلغلت في شعرها فشعّثته. وعلى مقربة منها، شاهدت رجلاً يحاول أن يطير نموذج طائرة، وشاهدت طفلين يضحكان ويصرخان وهما يلعبان بصحن طائر وقد جلس والداهما يراقبانهما.

عاد ثاندر على الفور، وقال لها من الخلف: «لا تستديري! ارفعي يدك وحسب».

أطاعته ميا، فمد يده من فوق كتفها وأطبق أصابعها على بكرة من البلاستيك لُفّ عليها حبل، ثم قال: «أمسكيها بإحكام».

وما أن أفلت يدها حتى أحست بقوة تسحبها، فحدقت نحو الأعلى. ورأت في السماء الزرقاء، طائرة ورقية بيضاء تحلّق عالياً. راحت السعادة تغلي في عروقها، لتفور وتتلألأ، وترتفع وتنبثق ينبوعاً من الفرح المطلق الصافي. لقد تذكر أمنية طفولتها!

ضحكت عالياً وشرعت تركض، والطائرة الهوائية تنخفض لتعود وترتفع نحو الأعالي، فتشدّ بقوة حبلها المصنوع من النايلون وكأنها كائن حيّ. وأخيراً، ارتمت لاهثة على العشب قرب ثاندر الذي جلس هناك يراقبها.

كان يستند إلى أحد مرفقيه وتعابير المرح مرتسمة على وجهه، لكن نظرة عينيه الخضراوين حملت انفعالاً أعمق وأعظم.

استلقت ميا على ظهرها، على العشب الدافىء، وراحت تلف خيط النايلون على البكرة محدّقة في الطائرة الهوائية المتراقصة، لقراءة ما كتب عليها بخط ذهبي. وحين نجحت في ذلك، أخذ قلبها يخفق ويتراقص بين ضلوعها كما تفعل الطائرة. فقد توقعت أن تقرأ اسمها أو تهاني بمناسبة عيد ميلادها.

لكن ما كتب عليها كان: «احبك».

حبذا لو كان هذا صحيحاً! حبذا لو يحبها فعلاً... التفتت نحوه، وفي عينيها ألف سؤال.

ـ عندما ذكرت لصديقنا الشاب الذي يدعى سامسون، أننا نقضي شهر العسل، وجد أن هذه العبارة مناسبة.

قضى تعليق ثاندر الفظ على آمالها في مهدها، وأوقعت خيبة أملها الكآبة في نفسها.

وكانت تجاهد لتستعيد مزاجها المرح، حين حط صحن دوّار بينهما. فقذفه ثاندر المبتسم بخبرة إلى الاولاد الذين كانوا يلعبون به، قبل أن يمسك بيد ميا ويشدّها لتقف على قدميها، قائلاً: «هيا أيتها الكسولة، دعيني أعطيك درساً في التحليق بالطائرة الورقية».

وأمضيا بعض الظهر باللعب كالأطفال قبل أن يجتازا الحديقة لاحقاً ليشربا فنجاناً من الشاي المنعش. وتراجعت حدة الريح، فجلسا في حديقة «الرينبو بيرد» المظللة بالنخيل، يراقبان ما يدور حولهما بكسل.

وانزلقت الشمس الحمراء الضخمة التي خسرت مؤقتاً معركتها اليومية على السيادة، عن حافة الأرض، وبدأ غزو الزوار المسائي للقمة، قبل أن

يستقلا الترام ليعودا إلى وسط المدينة.

سألها ثاندر: «أنطلب سيارة أجرة؟».

هزّت ميا رأسها نفياً، فالجهد الذي بذلاه بعد الظهر أسهل من التجوّل طيلة النهار على الأرصفة الحارة.

وتلقائياً، حمل الطائرة الورقية تحت إبطه وهما يسيران في الشوارع المزدحمة التي بدت أكثر سطوعاً منها أثناء النهار بسبب الأضواء واللافتات المضاءة.

وحين وصلا إلى المنزل، وجدا المائدة معدّة، وقد زيّنت بالورود والشموع. وكانت السيدة شان تتحرك بنشاط وصمت لتحضر وجبة مميزة.

ضمّت يديها في حركة رجاء، وقالت بالإنكليزية: «أرجو أن يعجبكما. متى تودان أن تأكلا؟».

التفت ثاندر نحو ميا، وسألها: «هل تريدين الاستحمام أولاً؟».

ـ نعم، أرجوك. إذا لم يكن لدى السيدة شان أي مانع.

فاقترح على مدبرة منزله: «بعد نصف ساعة تقريباً؟».

أومأت ليلي وابتسمت بخجل قبل أن تعود إلى تحضيراتها.

أدنى ثاندر رأسه الأسمر وشفتيه من أذن ميا، وسألها: «ما رأيك بطريقة مميزة لتوفير المياه؟».

أحست برعشة تسري في عروقها من وقع كلماته، فأجابته لاهثة: «يكفيني ما اختبرته اليوم».

استحما، واستبدلا ملابسهما، ثم نزلا إلى غرفة الطعام، ليجدا أنّ السيدة شان قد غادرت بعد أن تركت لهما طعامهما على السخّان.

وبعد أن شبعت، استندت ميا إلى ظهر كرسيها، وتنهدت قائلة: «إن السيدة شان كنز».

أجابها ثاندر بصوت مثير: «سأعلمها بما قلته، فسيسرها ذلك. والآن، استرخي على الاريكة حتى أحضر القهوة».

كانا قد شربا فنجان القهوة الثاني حين توجّه إلى الداخل، ليعود بعد

www.elromancia.com

ذلك حاملاً علبة جلدية مستطيلة الشكل قدّمها لها قائلاً: «هدية عيد مولدك».

فتحت الغطاء، وحدّقت بدهشة في القلادة الموضوعة على البطانة الحريرية السوداء. لفتها حجر الجاد البيضاوي الشكل، ذو اللون الأخضر الداكن كعيني ثاندر، المثبّت في إطار ذهبي، والذي برز فوقه تنين ذهبي رائع بجناحين ومخالب، وعينين من حجر القمر. كما تشابكت معه أفعى زمردية العينين، ذهبية الجلد كالتنين.

كانت قطعة فنية فريدة، مثالية ومناسبة لدرجة أدركت معها أنه طلبها خصيصاً لها. أفقدتها المفاجأة عقلها وفطنتها، فراحت تحدق في الهدية من دون أن تدري ما عليها أن تقوله.

ـ إذا لم تعجبك. . .

رفعت عينيها البراقتين وأجابته: «آه، لقد أعجبتني. إنها رائعة!».

ـ دعيني، إذن، أضعها حول عنقك.

أخذ القلادة، ورفع شعرها الأشقر، ثم ثبّت السلسلة الذهبية الناعمة حول عنقها. أحسّت بها باردة وثقيلة، غريبة وفريدة على بشرتها الساخنة.

قال لها: «لديك أجمل عينين رأيتهما يوماً. لونهما أخضر صاف، لا أثر للزرقة فيهما، ويحيط بالحدقة إطار داكن. غالباً ما يكون لونهما ساطع، لكن حين ألمسك يتحوّل اللون داكناً ويغشاه الهوى».

ثم بدّل لهجته ليسألها: «أتحبينني؟».

سرت النيران في عروقها، وتسارعت دقات قلبها. وودت كل خلية من جسمها أن تصرخ بالإيجاب، لكن فطرتها دفعتها إلى التخفيف من حدة مشاعرها ومكافحة هذه الأحاسيس الملتهبة. هزّت رأسها بصمت وتمنّت ألاّ يلحّ على هذه المسألة.

لكنه لم يفعل، بل اكتفى بالقول: «حسناً، لنخلد إلى النوم».

وفي يومهما الأخير، اقترح ثاندر أن يستقلا الحافلة إلى أبردين وهو جزء من شاطىء الجزيره لم يزوراه بعد.

نزلا من العربة الحارة، المكتظة بالركاب المحليين، وأكملا الطريق

سيراً على الاقدام نحو مرفأ ابردين، حيث تعيش عائلات بأكملها، في مراكب واسعة مظللة. ويمكن للمشهد الغني بالألوان والرائع أن يكون صورة للشرق منذ مئة عام.

وبعد أن ساوم امرأة صغيرة القامة، أسنانها سوداء، ترتدي ملابس نوم من الحرير، قاما بجولة في المرفأ على متن مركب زوجها.

وعندما رسا المركب، جابا المكان بحثاً عن مكان هادىء يطلّ على هذا المشهد المتنافر. وجلس ثاندر على حجر عريض، ناعم وأجلسها في حجره، مما جعل نبضات قلبها تتسارع كحالها حين يلمسها.

عبثت نسمة بحرية بخصلات شعرها الأشقر فغطت خدها، إلاّ أنه أبعدها ووضعها خلف أذنها. وتبعت أصابعه انحناءات وتقاطيع وجهها بلمسة حنونة ناعمة.

كاد أثر الحنان هذا يتسبب بضياعها، فقد أحسّت برغبة جامحة في أن تطوّق عنقه بذراعيها وتعانقه، وبأن تعترف له بحبها وترجوه بأن يحبها بدوره.

هل هي مجنونة؟ فلم يكن لديه حب يعطيه ولا يريد حبها إلا كسلاح يستخدمه ضدها.

همس: «أتستمتعين بشهر عسلك؟».

تمالكت أعصابها، وأجابت: «أحببت هونغ كونغ، فهي تضج بالحياة، والألوان».

بدا مرحاً وهو يقول: «لم تجيبي على سؤالي بالتحديد. هل أنت حزينة لأن شهر العسل يكاد ينتهي؟».

لو نطقت بالحقيقة لردّت بالإيجاب، فقد ودّت لو يستمر إلى الأبد، لكنها ذكّرت نفسها بأن الحكمة تقضي بعدم الاعتراف.

وألح قائلاً: «حسناً، هل أنت حزينة؟».

فاستجمعت شجاعتها، وكذبت بهدوء قائلة: «لن آسف على العودة إلى لندن».

واختفى مرحه فجأة حين قال: «وإلى مياشيم؟».

أجابت بفظاظة: «لن أقابل فيليب».

ـ لكنك ما زلت تحبينه.

جاءت كلماته كتصريح أكثر منه كسؤال. فتحت شفتيها ثم أطبقتهما، دون أن تنكر ما قاله. فإذا اعتقد أنها لا تزال تحب فيليب، بقي سرها في أمان.

وبعد لحظات، أجابت بمواربة: «انتهى كل شيء بيننا».

ـ من الأفضل لك، فإذا ما كذبت عليّ مجدداً. . .

حملت كلماته غضباً شديداً. وبالرغم من أنه ترك تهديده معلقاً إلا أن ميا ارتعدت، واعتراها البرد تحت أشعة الشمس الحارة. في هذه اللحظات، تمنت لو يبقيان آمنين في هونغ كونغ بعيداً عن رودا وفيليب.

***

٨ ـ مطاردة الماضي

أقلعت طائرتهما الكبيرة من كاي تاك، تحت شمس الظهيرة الساطعة وفي جو حار كالأتون. بالرغم من تهذيبه وأدبه، لم يتبادل ثاندر معها الحديث خلال رحلة العودة الطويلة. فمنذ رحلتهما إلى أبردين، أصبح هادئاً ومتحفظاً، وبعد ما اعتاداه من حميمية، وجدت ميا هذا الوضع صعباً، يستحيل احتماله.

حاولت أن تشرح له أنها لم تعنِ ما قالته عن العودة إلى لندن، لكن الأوان كان قد فات، وما انكسر قد انكسر.

استمع إلى انكارها المتلعثم، بوجه جامد، لكن بدا جلياً أنه لم يصدّق أيّ كلمة مما قالته.

واخترقت الطائرة الغيوم الكثيفة، لتحط في بريطانيا. . .

كان جايمس بانتظارهما، فقادهما إلى كرومبي سكوير عبر شوارع ضربتها الأمطار المنهمرة بسياطها.

وأحست ميا بالضيق والإنفعال، لكن حين رأت أن ثاندر ألقى بالهموم عن كاهله، مؤقتاً على الأقل، أخذت تسترخي.

كانت غرفة الجلوس تتوهج نظافة، فيها باقات الزهور موزعة. ولاحظت على طاولة مستطيلة الشكل مجلد صور عرسهما وعدداً من الهدايا.

جلس ثاندر على أريكة قبالة المدفأة، وأجلسها قربه ثم وضع ذراعه حول كتفيها وراحا يتأملان الصور معاً.

فكرت بكآبة أنهما يبدوان، في تلك اللحظة، كأي شخصين تزوجا

حديثاً، يحب أحدهما الآخر، ويسعدان برفقة بعضهما البعض.

وبالإنسجام نفسه، راحا يفتحان الهدايا معاً، معبّرين عن إعجابهما تارة وضاحكين طوراً عند رؤية هدية تنم عن ذوق متفرّد.

كانت ميا تتأمل بإعجاب آنية زجاجية وردية اللون حين لاحظت أن ثاندر شدّ على فكّيه. وبقلب مثقل، خمّنت مرسلها قبل أن تقرأ على البطاقة «رودا وفيليب».

وشرعت تقول بتردد: «إذا لم تشأ أن تحتفظ بها. . .»

فسألها ساخراً: «أتقترحين أن نعيدها؟».

ـ لا بالتأكيد لا. . . لا يمكننا أن نفعل ذلك.

ـ إذن، افعلي ما تجدينه مناسباً.

جاء صوت ثاندر وكأنه يرفض متابعة الحوار.

فقالت: «يمكننا أن نعطيها لأوكسفام أو لإحدى المؤسسات الخيرية الاخرى؟»

ومع أنه استرخى مجدداً، إلا أنّ ميا تحسّرت داخلياً وانزعجت لأنها ذكرتهما بأشياء يودان نسيانها.

وفي الأيام التالية، استقرا في رتابة منزلية، فمرّت الساعات سهلة مريحة ظاهرياً إنما لم تكن تلقائية كلياً. وأدركا أنّ خيوط السعادة واهية للغاية، ويمكن لخرق صغير أن يدمّر البناء الدقيق، فراحا يتعاملان بانتباه وعناية، وحاولا ألا يهمسا اسم فيليب.

كانت السيدة روز تهتم بالمنزل، لكن، بعد استشارة ثاندر، الذي أعطاها الضوء الأخضر، راحت ميا تهتم بتحضير الطعام، مما أسعدها.

وحين فاتحته ميا بالموضوع، خشيت أن تستاء مديرة المنزل. لكن بدا أنّ قرارها أراح السيدة روز التي قالت لها: «بدأ داء المفاصل يتعبني مؤخراً، وفي المنزل نصف عدد الخدم الذين يحتاجهم نظراً لحجمه، لذا فالأمر أشبه بكفاح مستمر».

أما ثاندر فلم يكن من المدمنين على العمل كجايمس، بالرغم من استمتاعه بعالم الأعمال والمصارف. . . كان يعمد أحياناً إلى تفويض غيره

لإنهاء الأعمال إذا ما استطاع ذلك. لكن مع اقتراب موعد استلامه السلطة في المصرف، اضطر إلى العمل بكد حتى في عطلات نهاية الأسبوع وإلى التأخر مساءً في معظم الأحيان.

اعتادت ميا، عندما يعمل، على تحضير وجبة خفيفة لنفسها، وعلى تناولها في المطبخ وكانت بعد ذلك، تتسلى بقراءة كتاب ما، لعدم شغفها بالتلفزيون.

وفي إحدى الأمسيات، خطر لها أن تتوجه إلى لتزور والدها. وتذكرت لمسة الحنان غير المتوقعة التي بدرت عنه يوم زفافها، وملاحظته عن شبهها بأمها، فتساءلت إن كان يشعر بالوحدة وإن كان سيسّر لرؤيتها.

لكنه لم يسّر، وأدركت أنها كانت مخبولة حين خيّل لها أن عواطفه نحوها لربما تغيّرت، بعد هذه الفترة الطويلة. ودعاها بتحفظ، حين رافقتها مديرة المنزل السيدة براندن إلى الداخل قائلاً: «اجلسي».

ـ كيف حالك؟

طرحت عليه ميا هذا السؤال، وهي تجلس على مقعد وقد بدت كضيف غير مرحّب به.

ـ أنا بألف خير.

لاحظت أن لونه قد تحسّن، وأن وضعه قد بات أفضل وأكثر تفاؤلاً، إذا أمكن استخدام هذه الكلمة لوصف أبيها.

وقف واقترح عليها: «أتودين شراباً؟».

لم تشأ أن تشرب شيئاً، لكنها وجدت نفسها تقول: «من فضلك».

راقبت انقباض وتيبّس حركاته وهو يسكب لها الشاي، وأدركت أنه مرتبك مثلها تماماً. فما من نقاط تواصل بينهما، وكانت غبية حين ظنّت العكس.

قبلت ميا فنجان الشاي الذي سكبه لها وارتشفته والشعور بأنها وقعت في شرك يراودها. فالمنزل الواسع الكئيب ما زال كما كان حين هربت منه. وحاصرتها ذكريات الماضي فلم تعد تطيق صبراً كي تفر منه من جديد.

وبعد حوار متكلف دار معظمه عن العمل والمكتب، همّت بمغادرة

المنزل، فسألها جايمس بفظاظة: «أفترض أنكِ أتيت كي أشكرك؟».

نظرت إليه مشدوهة وقالت: «تشكرني؟ علامَ ستشكرني؟».

فقطب حاجبيه، وتمتم لنفسه: «كنت واثقاً من أنه فعل ما فعله من أجلك».

رددت ميا كلماته قائلة: «من أجلي؟ لا أدري عما تتكلم».

ـ في هذه الحالة، انسي ما قلته.

بدا جلياً أن جايمس أسف على ما تفوه به، ويتلهف لتغير الموضوع.

نهضت ميا واقفة، وحملت حقيبتها قائلة: «يجب أن أذهب، سيعود ثاندر إلى المنزل بعد قليل».

لم يحاول أبوها إقناعها بالبقاء لمدة أطول، فأضافت بانزعاج: «حسناً، اعتنِ بنفسك».

ثم ارتدت على عقبيها وغادرت المكان. لقد تبين لها منذ البداية أنها اخطأت حين جاءت لزيارته.

ـ ميا...

كانت قد وصلت إلى منتصف البهو، فتوقفت والتفتت نحوه. رأت على وجه جايمس تعابير التردد، وكأنه يود لو يسدّ الهوة بينهما، لكنه يجهل السبيل إلى ذلك، فقال: «أتمنى لك السعادة».

ـ أشكرك.

اغرورقت عيناها بالدمع، فعادت وطبعت قبلة على خده قبل أن تخرج من المنزل.

وبعد مرور نصف ساعة على وصولها إلى منزلها، عاد ثاندر من عمله. وبما أنها أمعنت التفكير مطولاً خلال رحلة العودة في سيارة الأجرة، وأثناء انتظارها وصوله، سألته دون مقدمات: «ماذا فعلت بشأن المبالغ التي يدين بها أبي للمصرف؟».

نزع ثاندر سترته، وفك ربطة عنقه، قبل أن يسألها: «ما الذي يجعلك تعتقدين أني فعلت شيئاً بشأن ذلك؟».

ـ ذهبت لرؤيته الليلة، فخيّل له أني جئت ليشكرني.

ـ على ماذا؟

صممت ألا تدعه يهزمها، فقالت: «هذا ما أسألك عنه؟».

ـ ألم تسأليه؟

ـ بلى، لكنه رفض أن يجيب.

رمقها ثاندر بنظرة جانبية وقال: «أفترضي أني أرفض أن أخبرك؟».

ـ عندها، سأستنتج بنفسي.

ـ وما هي استنتاجاتك؟

ـ أنك أنقذته بطريقة ما، وسويّت الأمور.

ثم أضافت ساخرة: «أرجو ألاّ تكون قد تلاعبت بالحسابات لتخفي المسألة».

فرد رأسه إلى الخلف وقهقه قائلاً: «ما من داعٍ لذلك. لحسن الحظ أنه لديّ أموالي الخاصة».

وقبل أن تتمكن من إيجاد الكلمات المناسبة لتشكره، سألها: «هل أنت جاهزة للنوم؟».

وضمها بين ذراعيه وهو يضيف بصوت أبح: «لديك تأثير غريب فيّ، فخلال اجتماع عمل هام الليلة، لم أفكر سوى في العودة إلى المنزل وإليك».

وبعد حين، وفيما كانت مستلقية بين ذراعيه، وعلى وشك الاستسلام لسلطان النوم، تذكرت فناته: «ثاندر...».

ـ همم؟

ـ بدا أبي بحال أفضل الليلة، كما لو أن هموم العالم قد أزيلت عن كاهله... شكراً لك. أنا ممتنة لك لكل ما فعلته من أجله.

أجابها ثاندر باختصار: «لم أفعل ذلك من أجله».

إذن، لقد قام بذلك من أجلها. فهل يعني هذا أن مشاعره نحوها تغيّرت، وأنه بدأ يهتم لأمرها ولو قليلاً؟ وتعلقت ميا بهذا الإحتمال وكأنه هدية ثمينة.

وبعد أيام، شرعت ميا تنقل أغراضها الشخصية القليلة من شقتها في

بايزواتر، شاعرة بأنها تقطع الخيط الأخير الذي يربطها بحياتها السابقة. وعندما انتهت من ذلك، نظفت المكان للمرة الأخيرة وودعت جيرانها قبل أن تسلِّم المفاتيح للوكالة.

وبالرغم من أنها تمنت، في الماضي، أن تحيا حياة تراخي وكسل، إلا أنّ تحفظها الوحيد على حياتها الجديدة كان كثرة أوقات الفراغ لديها. فبعد أن كانت فتاة عاملة، لن يكون من السهل عليها أن تعتاد حياة الراحة. وتساءلت إن كان على المرء أن يجد عيباً في الجنة؟

وعندما أطلعت ثاندر على مشاعرها، استمع إليها بجدية ثم قال، وقد بدا التفكير في عينيه: «أفضل ألاّ تعملي إلاّ إذا كنت مصّرة على ذلك. فعندما تعود الأمور إلى نصابها في العمل، أريدك أن تكوني حرّة لترافقيني في رحلات العمل إلى الخارج وفي العطل المرتجلة».

غمرتها السعادة من كلماته.. وتابع قائلاً: «وفي الوقت نفسه، لا أريد لزوجتي أن تضجر. لو كان لديك منزلك الخاص لتهتمي بشؤونه...».

ثم رفع حاجبه سائلاً: «ما رأيك لو بدأنا البحث عن منزل في الريف؟».

ومع أنها مرتاحة في كرومبي سكوير، إلا أنّ كلماته جعلتها تحلق عالياً في سماء السعادة. «منزل في الريف»، أعطت هذه الجملة فجأة لزواجهما الغريب، الزائف مصداقية وشعوراً باستمرارية ولو جزئية.

وحين التفتت إليه، هادئة ظاهرياً بالرغم من الهناء والحماسة اللذين تملكاها، أضاف: «سيشغلك هذا لبعض الوقت. لعلك تودين زيارة بعض المكاتب العقارية لتري ما لديها من عروض؟».

وفجأة، وعندما شغل البحث عن منزل وقتها كله، أصبح النهار قصيراً على خلاف الليالي. وازداد مع الأيام حبها له، حتى ضجّ به قلبها وعقلها وروحها.

وجلّ ما احتاجته لتصبح حياتها مثالية هو أن يحبها. وكانت مستعدة، لتنال هذه الأمنية الغالية، للتخلي عن أيّ شيء آخر، دون أن تعتبر الأمر تضحية منها.

وفي بعض الأحيان، وفي ظلمة الليل الدافئة، كان يبدو لها ذلك

ممكناً؛ وفي ضوء النهار البارد، كانت تدرك أن الأمر أشبه بتمنّي المستحيل. لكن حين يضمها بين ذراعيه وكأنها ثمينة، وينظر إليها بما يشبه الدفء الحنون في عينيه الخضراوين، تجد نفسها مستسلمة للأحلام.

مساء يوم الخميس التالي، رن جرس الهاتف ومن عادة ثاندر عندما يتأخر في المصرف أن يعلمها بذلك. وضعت ميا كتابها جانباً، ورفعت السماعة، آملة أن يكون هو المتصل.

تناهى إلى مسمعها صوت رودا كالخرخرة: «كيف حال عروسنا الصغيرة؟».

كانت ردة فعل ميا التلقائية أن تقفل السماعة، لكنها كافحت هذه الرغبة الجبانة، وتمكّنت من أن تجيبها بهدوء: «أنا بخير. وكيف حالك أنت؟».

ـ آه أنا بألف خير... لكنكِ ستسألين بالتأكيد عن فيليب؟

رفضت ميا أن تخسر عمداً، فسألتها: «كيف حال فيليب؟».

ـ مشتاق إليك، على ما يبدو.

كان الحقد جلياً هذه المرة.

فشرعت ميا تقول: «لا أظن...»

ـ لم يعترف بذلك، لكنه مضطرب ومتقلّب.

ـ ربما عندما تتزوجان...

ـ يا لسذاجتك عزيزتي! فأنت من بين كل الناس يجب أن تعرفي أن زواج الرجل لا يعني وفاؤه واستقراره. خذي ثاندر، على سبيل المثال...

أخذت ميا نفساً قصيراً، في حين تابعت رودا قائلة: «لم يمضِ على عودته من شهر عسله إلا أسابيع، وها هو "يتأخر مراراً في العمل"، أليس كذلك؟».

صرّت ميا على أسنانها، ورفضت أن تقع في الشرك. وحين لم تتلقَّ جواباً، هاجمت رودا من زاوية جديدة، وقالت: «أفترض أنك تعرفين أنّ جاكلين ماي عادت إلى لندن؟».

ـ هذا الأمر لا يعنيني.

ـ ألا يهمك أن تعرفي أن ثاندر يقابلها ليلياً تقريباً؟

ـ قد يهمني الأمر إذا ما صدّقته.

حاولت ميا أن تبدو مرحة، لكنها في الواقع شعرت أن نصل سكين اخترق قلبها ألماً.

ـ آه، صدّقي. فبنثام معروف بأنه المكان الذي تفضّله الآنسة ماي لتناول العشاء. وأقول لك إذا ما ركبت سيارة أجرة وتوجهت إلى هناك ستجدينهما هناك.

كم بدت متأكدة! فسألتها ميا بهدوء: «هل اتصلت لتخبريني بهذا؟».

أحسنت إخفاء كدرها، فقالت رودا: «في الواقع، اتصلت لأسأل إن كنتما ستحضران الزفاف. كنت أراجع الردود، ولم أجد جواب ثاندر».

في الواقع، وصلتهما دعوة عبر البريد، لكن ثاندر رماها جانباً بعد أن ألقى نظرة سريعة عليها. ولم تسأله ميا إن كان سيقبلها لئلا تفتح الجروح القديمة مجدداً.

ردّت بأدب: «أخشى أنني لا أستطيع أن أعطيك جواباً الآن، لكن سأطلب من ثاندر أن يتصل بك».

وأقفلت السماعة من دون أن تضيف أيّ كلمة أخرى، وجلست تحدّق في الفراغ دون أن ترى شيئاً.

لطالما كانت رودا مدللة وحاقدة حتى في صغرها، فهذا الإتصال لا يهدف إلاّ لإثارة المتاعب، لكنها بدت واثقة من نفسها ومن الوقائع..

أحست ميا بالإعياء والإضطراب، فبذلت جهدها لتطرد الأفكار السيئة بعيداً. وراحت تقول لنفسها إن وجود جاكلين ماي في لندن لا يعني شيئاً، وإنّه من السهل على رودا أن تخمّن أنّ ثاندر يعمل كثيراً لأنه سيستلم زمام الأمور في المصرف قريباً.

لكن ما إن حملت ميا كتابها، حتى عادت الشكوك تساورها، وتزعجها كسرب بعوض. ماذا لو كانت رودا محقة، وكان يقابل جاكلين ماي مجدداً؟ مؤكداً للعارضة الرائعة أن زواجه ليس إلا عقبة مؤقتة؟ ربما ينتظر حتى يترأس المصرف، وحتى يتزوج فيليب رودا، كي ينهي زواجهما؟

إذا صَح ذلك، فلا يمكنها تغيير الأمور. لكن، إذا كان هذا صحيحاً،

فلماذا اقترح أن يبحثا عن منزل آخر؟ أهي خدعة لتبقى هادئة ولا تسبب له المشاكل؟

حاولت مجدداً أن تطرد ما قالته رودا من فكرها، فمن الجنون أن تدع امرأة حقود تزعجها وتقلقها هكذا.

وفي هذه اللحظة بالذات، خطرت لها فكرة مغرية. يمكنها أن تتصل بمكتب ثاندر، فقد أعطاها رقمه الخاص لتتصل به عند الحاجة، لكنها لم تستخدمه قط. وإذا ما أجاب ستتأكد من أنه ليس برفقة جاكلين ماي.

يمكنها أن تكتفي بإقفال سماعة الهاتف دون أن تتكلم، كما لو أنه رقم خطأ، ولن يعلم أبداً أنها اتصلت به. خجلت لتفكيرها بهذه الحيلة، لكنها ستطفىء نارها وتهدىء شكوكها التي تعذّبها.

ومن جهة أخرى، يمكنها أن تتصل به وتسأله بصراحة إن كان سيتأخر، وتقول له إنها اشتاقت إليه... وهذه هي الحقيقة المجردة.

ومن دون تردد، رفعت ميا سماعة الهاتف.

تركته يرن لفترة طويلة، لكن ما من مجيب. يبدو أن رودا كانت محقة، فإخلاصه لم يدم إلا لفترة شهر العسل.

خلدت ميا إلى النوم في الحادية عشرة، لكن جفنيها لم يغمضا، وراحت تتقلب في فراشها وقد جافاها النوم. وبعد منتصف الليل بقليل، سمعت وقع خطواته. استمعت إلى صوت المياه تجري في الحمام وهي مستلقية، تمزقها الغيرة والتعاسة والدموع.

دخل الغرفة بخطى خافتة صامتة كهر ضخم واستلقى في الفراش قربها دون أن يشعل النور.

بقيت مستلقية بهدوء، متظاهرة بالنوم، وكان قريباً منها للغاية، فاشتمت رائحة صابونه وأحسّت بدفء جلده.

وأجفلت فجأة حين لمستها يده، فسألها: «هل من خطب ما؟».

أجابته بغضب: «لقد أخفتني، كنت نائمة».

أبلغها ممازحاً: «أنت تكذبين وبالفم الملآن. كنت تدّعين النوم. إذن، ما الأمر؟».

غمغمت قائلة: «ما من خطب».
ـ لمَ تدّعين النوم إذن؟
ـ أعاني من صداع.
ـ يبدو لي عذراً أكثر منه تفسيراً. ما رأيك لو أخبرتني الحقيقة بكل بساطة؟

ردّت بحدة: «حسناً. الحقيقة أني لا أريد منك أن تلمسني».

استقام في جلسته بغتة، ثم انحنى فوقها، وأشعل النور. فالتفتت ميا إلى الناحية الأخرى، بشكل غريزي، وأطبقت عينيها.

أمسك ثاندر بذقنها، واضعاً أصابعه على أحد خديها، وإبهامه على الآخر، ثم أدار وجهها نحوه، وقال: «أنظري إليّ».

قاومته للحظات، لكنها أدركت عدم جدوى الأمر، ففتحت عينيها اللتين طرفتا قليلاً.

قال لها برقة: «والآن، فلنوضح بعض الأمور. لن أجبرك على معاشرتي، ويحقّ لك أن ترفضي. لكن لن أسمح لأي امرأة، ولا حتى لزوجتي، بأن تكلمني بهذه اللهجة».

ـ أنا. . . أنا.

ندمت فليتها لم تنجرّ إلى هذه المواجهة. شعرت باليأس واضطرت إلى إطباق جفنيها بإحكام لتصدّ دموعها، فلا تنهمر وتفضح أمرها، وبالرغم من ذلك، شقّت دمعة طريقها عبر جفنها وانحدرت على خدها.

أخذها بين ذراعيه وضمها إلى صدره، فاستسلمت لعواطفها، وطوّقت عنقه بذراعيها ورفعت جسمها نحوه لتدنو منه أكثر وتلتصق به.

تراجع قليلاً وسألها: «إذن، لماذا ادعيتِ أنك لا تريدين مني أن ألمسك؟».

تصلّبت أوصالها، وصرخت: «ولم تدّعي أنك تعمل حتى وقت متأخر؟».

ـ أتعتقدين أني غادرت فراش امرأة أخرى للتو؟
فأنكرت:

ـ لا، لم أفكر في ذلك. أنا. . . تساءلت أين كنت حتى الساعة.
ـ لمَ لم تسأليني؟

تأملت فمه الذي يعكس صرامة تتناقض والدفء النابع من خط شفته السفلى، ثم هزت رأسها. هناك الكثير من الأسباب التي تمنعها من طرح السؤال، وكلها أسباب معقدة تقريباً.

تابع يقول: «لو سألتني، لأخبرتك أني دعوت زبوناً مهماً على العشاء. ولم أكن برفقة امرأة أخرى».

بددت كلماته شكوك ميا كما تبدد الشمس ندى الصباح. لن يكذب عليها، فوحدهم الضعفاء أو الخائفون يلجأون إلى الكذب، ولم يكن ثاندر منهم.

وحين التزمت الصمت قال بلهجة وعيد ناعمة: «من الأفضل أن أثبت لك ذلك».

وبرهن لها ذلك على أحسن وجه.

وبعد حين، قال لها، وهو يضمها بين ذراعيه: «قلت لك من قبل إني لا أحتاج إلاّ لامرأة واحدة راضية».

دنت منه ميا أكثر، فيكفيها أن تكون هذه المرأة وإن كان لا يحبها. حسناً، يكفيها نسبياً.

ولم تتجرأ على فتح موضوع زواج رودا، إلاّ بعد العشاء في اليوم التالي.

وعندما فعلت، نظر إليها ثاندر مقطِّب الحاجبين وسألها: «هل تريدين حضوره؟».

ـ لا!

ثم أجبرت نفسها على اعتماد لهجة أكثر اعتدالاً، وتابعت قائلة: «أعني، إلاّ إذا أردت أنت ذلك. . . وأنا واثقة من أنّ رودا لا تريد مني أن أحضر».

فقال ببطء: «لكن أظن أنه علينا أن نحضر الزفاف. فسيبدو الأمر غريباً إن لم نفعل».

ثم أضاف بسخرية: «وقد نتمكن من طرد بعض الأشباح».

***

وفي يوم الثلاثاء من الأسبوع التالي، كانت ميا تتحضر لزيارة وكيل عقارات آخر حين اتصلت بها جانيت واقترحت عليها أن تتناولا طعام الغداء معاً.

وافقت ميا بحماسة قائلة: «رائع!».

ـ هل نلتقي في المونراكر؟ عند الساعة الواحدة؟

فوعدتها ميا: «سأكون هناك».

يقع المونراكر قرب شارع اوكسفورد وهو مطعم يقدم أفضل الوجبات وأرخصها في لندن.

كانت ميا تنتظر عند طاولة لشخصين حين دخلت جانيت كالريح العاصفة.

تأملتها الفتاة جيداً، ثم قالت لها: «تبدين رائعة! بل، على الأصح، أن تكوني حبيبة رجل شاب لأمر يناسبك جداً».

وأضافت بجدية: «هل الأمور على ما يرام؟».

ـ نعم إن الأمور على خير ما يرام.

قالت جانيت، وهي تعني ما تقوله: «يسرني ذلك».

وعندها، أشارت ميا التي أحست أن كلماتها تجعل الرعشة تسري في عروقها: «نبحث أنا وثاندر عن منزل آخر. ولم أنجح حتى الساعة، إنما المشروع مثير».

ـ هذا أقل ما يقال!

رفعت ميا حاجبيها مستفهمة، فصاحت جانيت مبتهجة: «لدي الكثير لأخبرك إياه! لكن فلنطلب الطعام أولاً. أجد أن للحب تأثيراً غريباً فيّ، فبدلاً من أن أخرج وأطلب القمر، أنقضّ على الأكل. كما آمل أن أحمل ما أن أتزوج أنا وجون».

نظرت إليها ميا نظرة مذهولة، فاسترسلت جانيت تخبرها عن تودد جون الذي حملها في دوامة: «أعلم أن ما سأقوله سيبدو مبتذلاً، لكنه حب

من النظرة الاولى بالنسبة لكلينا. قال لي: «كنت أنتظر المرأة المناسبة وقد وجدتها، فلمَ الإنتظار أكثر؟ وهذا ما كان عليه شعوري أنا أيضاً، إلا أني كنت أنتظر الرجل المناسب بالطبع . . .».

تابعت جانيت حديثها بسعادة غامرة، وجعل التأثر كلامها غير مترابط نسبياً.

وأثناء تناولهما الطعام، سألتها ميا: «إذن، هل ستتزوجان قريباً؟».

قالت جانيت باعتداد: «نعم والفضل يعود لك. فباقة زهور ترمى بشكل مناسب تجترح معجزات! حين التقطت باقتك، قال لي جون: «هذا يجعلك العروس التالية. أود المحافظة على هذه التقاليد القديمة، فما أن تتعرفي إليّ بشكل أفضل حتى أركع على ركبتي وأطلب منك الزواج. ظننت عندها أنه يمزح، لكنه لم يكن يمزح! ما رأيك بهذا؟»

حركت يدها اليسرى، فتلألأ خاتمها الماسي في إصبعها الثالث.

أعربت ميا عن إعجابها تلقائياً: «إنه رائع. إذن متى الزفاف؟».

ـ في الثلاثين من شهر حزيران. أرجو أن تكوني وصيفتي.

ـ حاولي منعي من ذلك!

أكملت جانيت مبتهجة: «إننا نبحث عن منزل. نال جون ترقية وزيادة على معاشه، لهذا نحاول شراء منزل مع حديقة صغيرة للاولاد لاحقاً. نرجو العثور على واحد قريب لئلا يمضي جون ساعات في التنقل يومياً».

ثم أضافت وهي تعبث بمحتويات صحنها: «يجب ألا أتأخر، فلديّ عمل كثير أقوم به. . . وأعترف أني لن آسف حين أترك العمل إذ لم يعد كما كان من قبل. كما أن فيليب تغيّر منذ زواجك، وكأنه يلومني على ذلك، بطريقة ما. . . وأبوّته المستقبلية لا تناسبه؛ فهو يبدو تعيساً. . . آه، يا لطول لساني! فآخر ما أريده هو أن أقلقك».

أكدت لها ميا بهدوء: «لا بأس. لم تقلقيني».

لقد نطقت بالحقيقة، فتعاسة فيليب جعلتها تأسف عليه، لكنها لم تتألم كما كان سيحدث في الماضي.

وفجأة، قالت جانيت: «حسناً، عليّ أن أرحل. سررت برؤيتك كما

يسّرني أن تسير الأمور على ما يرام. ألسنا محظوظتين؟».

تركت نصف الفاتورة ثم حملت حقيبتها، وهي تقول: «سأتصل بك بعد يوم أو اثنين. تابعي بحثك عن المنزل وأعلميني إن حالفك الحظ».

وعندما غادرت الفتاة، طلبت ميا فنجان قهوة وشربته على مهل. لقد أجابت على سؤال جانيت المتعلق بزواجها بثقة لم تكن تشعر بها في الواقع.

وفيما كانت واثقة من أنه لم يعد يكرهها، إلا أنه لم يكن لديها أدنى فكرة عن شعوره نحوها.

ومن جهة أخرى، كانت مشاعرها بسيطة بشكل غريب. كانت تحسّ بالسعادة وهي معه وبالضياع في غيابه. أحبته بعمق محا أيّ شعور آخر، وتاقت لحبه برغبة أدمت قلبها.

لقد همس لها بصوته العميق الجذاب، أنها جميلة، دافئة، ناعمة ومثيرة، وأنه يريدها أكثر مما أراد يوماً امرأة، لكنه لم يلفظ كلمة حب قط، حتى في أشد أوقاتهما حميمية.

كما لم يسألها مجدداً إن كانت تحبه.

وعند العصر، وبعد ساعات من البحث المضني عن منزل، خرجت ميا من آشلي ادامز متنهدة.. لقد رأت الكثير من المنازل والشقق فضلاً عن قصر منعزل، لكنها لم تعثر على ضالتها المنشودة.

توجهت سيراً على الأقدام، بالرغم من السماء الملبدة بالغيوم، إلى المنزل ما قبل الأخير على لائحتها. وهناك شاهدت ما يشبه منزل أحلامها.

تول تريز، منزل ريفي قديم تحيط به حديقة مشجّرة، سيباع في المزاد العلني بعد أسبوع تقريباً.

وصفه لها دوغلاس ونورث، وهو رجل دقيق وحريص، قائلاً: «منزل عائلي ممتاز. رحب إنما ليس بشكل مبالغ فيه، وهو عملي ورائع في آن معاً».

وعرض لها صورة منزل غطته النباتات المتعرشة، حجري وعتيق، له شرفة واسعة تؤدي إلى مرجة منحدرة. ثم أضاف: «ستصلنا تفاصيل كاملة ومجموعة من الصور في غضون أيام».

وبالرغم من موقعه الريفي الجيد، قرب قرية جميلة، لم يكن المنزل بعيداً جداً عن المدينة. وانعكس ذلك على السعر المطلوب، الذي كان باهظاً، لكن ثاندر ترك مسألة السعر مفتوحة. وقال إنهما إذا وجدا منزلاً مناسباً، فسيدرسان مسألة ما إن كان يستحق ثمنه أم لا.

وعندما أعطته اسمها، قال السيد ونورث باحترام متزايد لأنه تعرّف على الإسم، على الأرجح: «سأعلمك فور توفّر المفاتيح. أنا واثق أنك والسيد دايفسون ستجدانه مثالياً».

عادت ميا إلى كرومبي سكوير، وهي تكاد تطير من الفرح، والبهجة تسري في عروقها. وصلت إلى المنزل قرابة الساعة السادسة، ولم تكن تتوقع عودة ثاندر قبل الثامنة، فاتصلت بشقة جانيت وهي تشعر بأن عليها أن تطلع أحدهم على الخبر السعيد وإلا سيقتلها حماسها.

أجابها صوت مألوف: «مؤسسة فيفي للتدليك».

قالت ميا: «أيتها المجنونة!».

ثم أضافت: «تساءلت إن كنت في المنزل».

أجابت جانيت بمرح: «وصلت للتو. ماذا هنالك؟».

أطلعتها ميا على الخبر، وختمت كلامها قائلة: «وليس لدّي أدنى فكرة إن كان بإمكاننا شراءه».

قالت جانيت بلهجة جافة: «ما كنت لأقلق بشأن هذا الموضوع».

عندها، تابعت ميا بحماسة: «يبدو منزلاً قديماً رائعاً. آه، أرجو أن يحبه ثاندر!».

أشارت جانيت، والإبتسامة في صوتها: «بما أنه يحبك بهذا القدر، فكلي ثقة بأنه سيسعد بالعيش إينما...».

قاطعتها ميا بسؤال لم تتمكن من منعه: «أتظنين فعلاً أنه يحبني؟».

تفاجأت جانيت لسؤالها، وقالت: «حتماً بالتأكيد... وإلا لماذا استعجل الأمور كما فعل؟».

ولمّا ترددت ميا، وهي تتساءل عما عليها أن تقوله، تابعت الفتاة الاخرى: «لا بد أنه أطلعك على شعوره نحوك؟».

غمغمت ميا: «لا، لم يعلنه».

ـ هل أخبرته عن مشاعرك نحوه؟

كررت ميا: «لا، لم أخبره».

ـ من الواضح أنك متيّمة به. لكن يمكن للرجال أن يتصرفوا بغباء أحياناً. أظنه يشعر بعدم الأمان وبالغيرة.

واستمر صمت ميا، فأضافت جانيت: «أعني فيليب. فيوم الزفاف، بدا ثاندر مستعداً لقتله! توقعت أنه ككافة الرجال الأقوياء، يكره أن يشعر بالضعف. وحب شخص ما يجعلك ضعيفة خاصة إن لم تكوني واثقة من مشاعره... ولكن، فلنعد إلى موضوع المنزل. عندما تخبرين ثاندر عنه، قولي له كم تودّين الحصول عليه، وأراهنك بأنه سيشتريه. أنا واثقة من أنه كان ليعطيك القمر والنجوم لو كانت بمتناول يده».

أقفلت ميا السماعة والسعادة تغمرها. إن كان ثاندر يحبها، وهذا ما تظنه جانيت، فقد نالت القمر والنجوم.

وبعد تفكير عميق، قررت ميا أن تنتظر لتحصل على التفاصيل كلها قبل أن تطلع ثاندر على خبر تول تريز. لهذا، وحين سألها أثناء تناولهما العشاء عما إذا أحرزت تقدماً، أخفت حماستها وقالت بغموض: «قال لي ونورث إن منزلاً بمثل المواصفات التي نطلبها سيطرح قريباً في السوق».

ثم، ولتبدّل الموضوع، راحت تخبره عن جانيت.

فابتسم لها ابتسامة عريضة لطيفة، وقال: «أعرف. لقد أخبرني جون، فهو يكاد يطير من الفرح منذ أيام».

ـ أخبرتني جانيت أنه نال ترقية.

قرأ ثاندر أفكارها كالمعتاد، وقال: «لا تظني أني أتصرف بلطف معه. لقد استحق الترقية، واكتفيت أنا بتسريع الأمور، وبتقريب الموعد شهر أو اثنين».

ـ أظن أن هذا لطف منك.

قالت جملتها هذه بحزم، وسرّها أن تراه مرتبكاً ولو لوهلة قصيرة.

وفي صباح اليوم التالي، طبع قبلة على خدها، وراح يربت بأصابعه

على عنقها، ثم علّق قائلاً: «أنا أسف إذا ما أهملتك كثيراً في الفترة الأخيرة».

اعترفت ميا، بضحكة خافتة: «لا أشعر بأني مهملة».

عضّ ثاندر على أذنها، وقال بصرامة: «خففي تقلبك حين يحاول سيدك الإعتذار».

فأكدت له: «ما من داع للإعتذار. لكن، سيسرني ألا تعمل حتى وقت متأخر وأن نمضي مزيداً من الوقت معاً».

ـ وأنا أيضاً.

جعل جوابه السعادة تتفتح في داخلها كزهرة في الربيع. قد يقول لها يوماً إنه يحبها... وإذا كانت جانيت على حق، فلعله ينتظر لتعترف له بحبها، وبأنها تهتم لأمره هو وليس لأمر فيليب.

وتساءلت إن كانت ستتجرأ على ذلك، حين تذكرت هدفه الثالث. لكنها أدركت منذ زمن أن تقويمها الاول للوضع كان خاطئاً. لطالما قالت لنفسها إنها ستبقى بأمان ما لم يعرف حقيقة مشاعرها تجاهه لكن الوضع اختلف الآن، فحبها له تركها عرضة للأذى، سواء اكتشفه أم لم يكتشفه. إنها مسألة أن تثق بأنه لن يعذبها عمداً.

كما خشيت لو عرف أنه كسب رهانه، ولم تعد تشكّل تحدياً له، أن يملّ منها سريعاً. لكن هذا الخوف تلاشى تدريجياً من دون أن تتمكن من إدراك السبب.

اقتربت منه، وشرعت تقول: «ثاندر، أنا...».

أوقف سيل كلماتها بقبلة، ثم قال لها بأسف واضح: «أودّ أن أبقى معك طوال النهار، لكن لدي اجتماعاً مع مجلس الإدارة بعد حوالى الساعة».

وأبعد الغطاء، وغادر سريره ليتوجه إلى الحمام. تنهدت ميا. حسناً، ستخبره عندما تجد الوقت مناسباً.

وفيما كان يستحم، غسلت وجهها ويديها، ثم ارتدت ثوباً من الحرير الأبيض ونزلت إلى المطبخ. وهناك أدارت المذياع، وراحت تغني وهي

تعصر البرتقال وتحضّر القهوة والخبز.

جلس ثاندر في مكانه المعتاد عند طاولة الفطور، مرتدياً بزة رسمية رمادية اللون . . . استند بيده إلى ذقنه وقال: «تبدين سعيدة».

فأعلمته بسرور: «هذا لأني سعيدة».

- يبدو أن الزواج يناسبك.

وبالرغم من ابتسامته الماكرة، بدت تعابير وجهه رقيقة وهو يراقب الحمرة التي زحفت إلى خديها.

وبعد نصف ساعة، وهو يغادر المنزل، أمسك بذقنها، بطريقته التملكية المعتادة، وجال بنظراته على وجهها المشعّ، بأنفها الصغير وفمها الواسع، وحاجبيها المرسومين وعينيها الجميلتين، وقال: «أنت واحدة من النساء القليلات اللواتي عرفتهن واللواتي يبدين أكثر إثارة من دون تبرّج».

لكن قبلته حملت دفئاً وحناناً عكسا عاطفة صادقة واهتماماً واضحاً.

تمسكت ميا بهذه الفكرة، وتنعّمت بالدفء الذي خلفته.

وفيما كانت تنظف أطباق الفطور، رن جرس الهاتف. فرفعت السماعة وقالت بمرح: «آلو؟».

- ميا عزيزتي. هذا أنا . . .

صرخت مروّعة: «فيليب! لا بدّ أنك مجنون لتتصل بي هنا!».

- لا تقفلي السماعة!

وجعلها طلبه المعجّل هذا، تتريث قليلاً، فأضاف: «يجب أن أتحدث إليك وليس لدي . . .».

- لا أريد التحدث إليك. لم يبقَ لدينا ما نقوله.

أقفلت السماعة بسرعة وكأنها نار أحرقت أصابعها، وقد بلغ بها التأثر حداً رفضت الإعتراف به. فآخر ما أرادته هو أن يتصل بها في منزلها ليسبب لها المشاكل، في الوقت الذي أخذت فيه الأمور تتحسن بينها وبين زوجها.

***

٩ - ثورة . . . وصلح

في ذاك اليوم، سيطر القلق والتوتر على ميا كلما رن جرس الهاتف. لكن، عندما حلّ المساء ومضى، ولم تردها أيّ اتصالات أخرى من فيليب، أخذت تسترخي.

تلك الليلة، تأخر ثاندر كثيراً، وكانت ميا نائمة حين عاد إلى المنزل، فلم يزعجها. وعندما تمطت وفتحت عينيها، كان الصباح قد حلّ، وثاندر قد استفاق وبدأ حمامه الصباحي.

فجأة، أحست بخيبة أمل عظيمة، إذ ودت أن تستيقظ، كما اعتادت، لتجد ثاندر مستنداً إلى مرفقه يتأملها. أحياناً، كان يرفض الإنتظار فيوقظها بقبلة أو بلمسة من أصابعه الطويلة الرائعة.

التفتت نحو الساعة فتبين لها أنه لا يملك الكثير من الوقت، ولم تشأ أن تؤخر فطوره. ولاحظت، لاحقاً، أنه يبدو متعباً، كما لو أن آثار العمل المضني لساعات بدأت تظهر عليه.

وحين دخل المطبخ، وسيماً وحيوياً ومثيراً، وأزاح شعرها الحريري الأشقر ليطبع قبلة على خدها، تمنّت لو يضمها بين ذراعيه.

وفيما كانا يتناولان الطعام، رفع ثاندر ناظريه نحوها وقال: «على فكرة، نسيت أن أقول لك إننا سنخرج الليلة. حصل جون على أربع بطاقات للعرض الجديد الذي يتهافت عليه الجميع، وسألني إن كنا نود مرافقته وجانيت، فقبلت الدعوة. أرجو ألا يزعجك ذلك؟».

تلألأت عينا ميا وأجابت: «بالتأكيد لا. ستكون السهرة رائعة».

كانا قد أنهيا شرب القهوة لتوهما، حين أحضرت السيدة روز بريد الصباح الذي تفحصه ثاندر ثم راح يفتح رسائله بعدما سلم ميّا رسالة موجهة إليها.

نظرت إلى الخط الأنيق المعقد الذي عرفته على الفور، فأحست بالإعياء.

حدّقت في المغلف وكأنه حيّة رقطاء، فسألها ثاندر بمرح: «ما الأمر، أتخشين أن تكون فاتورة؟».

ودّت لو تمزق الرسالة إرباً على الفور، لكنها لو فعلت لتساءل عن السبب، لهذا، أجبرت نفسها على الإبتسام وفتحها.

«عزيزتي ميا».

لم أعد أحتمل، فالايام تبدو لي خالية. يجب أن أتحدث إليك. قابليني إينما شئت، لكن ليكن في وقت قريب. لا أصدق أنك توقفت عن حبي وأنا . . .».

ارتجفت يداها، فأعادت الرسالة إلى مغلفها دون أن تكمل قراءتها. وحين رفعت عينيها، رأت ثاندر يراقبها وعلى ملامحه تبدو سيماء التفكير العميق.

علق قائلاً: «تبدين مستاءة، هل من خطب ما؟».

فكذبت: «لا، لا . . . لا شيء».

ظهر التوتر على فكه وكأنه قد صر أسنانه، لكنه لم يضف أيّ كلمة أخرى، لحسن حظها.

وعندما استعد للمغادرة، قبلها كالعادة، لكن قبلته لم تحمل، هذه المرة، الدفء والحنان، بل عكست نزعة تملك قوية.

وما أن خرج حتى مزّقت ميا المغلف ومحتواه ورمته لتتآكله النيران. لكنها اعترفت بكآبة أن الضرر قد حصل، فثاندر ليس غبياً. لقد عرف أنها كذبت بشأن الرسالة ولعله خمّن السبب أيضاً.

جعلت هذه الأفكار جسمها يتوهج أكثر، وقلبها يرتجف، ويرتجف.

آه! تباً لفيليب! لكن الصدق دفعها للإعتراف بأن اللوم يقع عليها وحدها، فقد أعطاها ثاندر فرصة لتطلعه على الحقيقة، لكنها لم تستغلها.

لقد خافت، خافت أن يصب جام غضبه عليها. خافت ألا يصدق أنها لم تشجّع فيليب قط. كما خافت مما قد يفعله بفيليب، بعد ذاك التهديد الذي أطلقه في الحديقة.

لكنها أقسمت ألا تدع هذا يقف عائقاً بينهما. وما أن يعود ثاندر إلى المنزل حتى تخبره الحقيقة وستتحمل النتائج. لكن لم تسنح لها الفرصة مساءً لتكلمه، فقد وصل متأخراً، واضطر إلى الإسراع بالإستحمام وتبديل ملابسه قبل أن يغادرا المنزل متوجهين إلى المسرح.

وبعد العرض، الذي كان مميزاً ومسلياً، قصدوا مطعم ماغنوم لتناول الطعام، ولم يعودوا إلى البيت إلا في وقت متأخر بعد منتصف الليل.

كان ثاندر على طبيعته، أثناء السهرة، فشارك في الأحاديث والضحك، لكن ما أن أصبحا وحيدين حتى التزم الصمت المطبق.

فكرت ميا في أنها قد تتمكن من التحدث إليه عندما يخلدان إلى النوم، لكنه أدار لها ظهره، للمرة الاولى منذ زفافهما.

تملكها الأسى، فراحت تتأمل كتفيه العريضتين القويتين، وحاولت أن تستجمع شجاعتها لتشرح له الأمر، لكن بدا من المستحيل التحدث إليه، فربط الندم والحزن لسانها.

وفي اليوم التالي، وبالرغم من أن الأمر لم يفارق ذهنها، استيقظت ميا لتتدفق إلى ذهنها الذكريات، فقررت أن تحاول توضيح المسائل وحلها. استدارت نحو ثاندر فوجدته مستلقياً بهدوء، يتأملها، لكن نظرات عينيه الخضراوين هذه المرة، كانت باردة، ووجهه متجهماً.

ابتلعت ريقها وقالت: «هناك أمر أود أن أخبرك به».

سألها، بصوت جاف إنما هش كالزجاج: «إعتراف».

اعترفت، وقد توردت وجنتاها: «نوعاً ما، الأمر يتعلق ب. . . بفيليب».

ازدادت تعابير وجه ثاندر قسوة، وقال: «أعرف أنك تعبثين معه مجدداً

من وراء ظهري».

أنكرت بعنف: «لا، لم أكن أعبث».

بدا التأثر على ثاندر للحظة، ثم سألها باقتضاب: «كم مرة التقيت مياشيم في السر؟».

ـ لم تقع عيناي عليه منذ يوم زفافنا.

كان لهذه الكلمات البسيطة وقع الحقيقة، لكن كان من السهل أيضاً معرفة ما إذا صدقها أم لا.

استقام في جلسته، ثم انحنى فوقها ونظراته اللامعة تتأمل وجهها: «لا تنكري أنكما كنتما على اتصال. فالرسالة كانت منه».

ـ نعم، وأنا آسفة. كان عليّ أن أخبرك على الفور، لكني خفت...

قاطعها ثاندر بحدة: «أراهن أنك كنت خائفة! هل راسلك غالباً؟ وهل اتصل بك مراراً؟».

ـ اتصل بي مرة، قبل يومين. لكني قلت له إني لا أريد التحدث إليه، كما أحرقت رسالته دون أن أقرأها.

رفعت عينيها الرماديتين الواسعتين والمدافعتين نحوه، فزمّ شفتيه وقال: «لا داعي للتظاهر بالبراءة. لقد حذرتني رودا مما يجري».

غصّت ميا وردّت: «ما من شيء يجري. رودا تحب خلق المشاكل».

في هذه اللحظة تمنت لو التزمت الصمت. ففي آخر مرة قالت فيها هذه الكلمات لثاندر اتهمها هي بخلق المشاكل.

سألها والازدراء في صوته: «هل تعتبرين محاولتها الإحتفاظ بوالد طفلها خلقاً للمشاكل؟».

فكرت ميا يائسة، أن لا جدوى من هذا النقاش. ربما لو أخبرته عن اتصال رودا... لكنها لم تفعل.

وسحبت نفساً عميقاً، ثم أكدت له: «لم أشجع فيليب قط. أريد منه أن يدعني وشأني، وهذه هي الحقيقة، صدقني»

ـ أود ذلك.

كانت عينا ثاندر الواسعتان كئيبتين.

وقبل أن تتمكن ميا من القيام بأيّ محاولة أخرى لإقناعه، نهض من الفراش وتوجه نحو الحمام.

وبعد أن استحم وارتدى ثيابه، رفض أن يتناول طعام الفطور بسبب تأخره، واكتفى بارتشاف فنجان قهوة. وكان على وشك مغادرة المنزل حين رن جرس الهاتف.

مد ذراعه والتقط السماعة، لكنه عاد وأقفلها على الفور.

فسألته ميا، والقلق يتملكها: «رقم خطأ؟».

ـ ممكن أو أن المتصل لم يكن يتوقع أن يجدني في المنزل.

كانت لهجة ثاندر قاطعة، وقبل أن تتمكن ميا من التقاط أنفاسها، خرج وصفق الباب خلفه.

هل كان المتصل فيليب؟ من الجلي أن ثاندر يشك بذلك. تنهدت بعمق، لقد خرج من المنزل دون أن يقبلها كما اعتاد أن يفعل ودون أن يؤكد موعد غداءهما.

كان عليها أن تنزل إلى المدينة لرؤية طبيب الأسنان ووعدها ثاندر منذ يومين بملاقاتها بعد ذلك.

وقبل أن تجهز لمغادرة المنزل، رن جرس الهاتف ترددت قبل أن تجيب، خوفاً من أن يكون المتصل فيليب.

وحين أجبرت نفسها على رفع السماعة، تناهى إليها صوت ثاندر وهو يقول بفظاظة واقتضاب: «أخشى ألا أتمكن من لقائك على الغداء. طرأ أمر ما وعلي معالجته شخصياً».

غالبت خيبة أملها، وسألته ببؤس: «هل ستتأخر الليلة؟».

ـ لا أتوقع ذلك.

وكان عليها أن تكتفي بهذا الرد.

وعندما انتهت من موعدها في الساعة الثانية عشرة، وجدت ميا نفسها وحيدة. لقد وعدها ثاندر باصطحابها لتناول الغداء في مطعم غرايشام، فتساءلت إلى أين ستذهب الآن، ولم تسترح لفكرة التوجه إلى مطعم بارك لاين بمفردها.

في ذاك اليوم، كان الطقس متقلباً بين صاحٍ وممطر، وفيما وقفت مترددة، راحت حبات المطر تنهمر على الرصيف.

فجأة، تذكرت مطعم سدريك، وهو مطعم صغير قصدته برفقه ثاندر في الأسبوع الماضي. كان هادئاً متواضعاً، وطعامه جيد وجوه هادىء وودود، كما كان على بعد خطوات.

جلست ميا إلى طاولة صغيرة جانبية، وطلبت البيتزا والسلطة والمياه الغازية، ثم راحت تستمع إلى موسيقى ناعمة على الغيتار. وحين وصل طعامها، فرشت محرمة على ركبتيها، ورفعت كأسها إلى شفتيها. في تلك اللحظة، رفعت ناظريها . . . فجمد الدم في عروقها.

رأت، في الجهة الأخرى من الصالة، ثاندر جالساً إلى طاولة وقد جلست قبالته جاكلين ماي في ثوب أبيض وأسود. بدت بشرتها شاحبة مقارنة مع حمرة شفاهها القرمزية اللون، أما شعرها الأسود والحيوي، فقد ثبتته بشريطة مفتولة بيضاء وسوداء، أحاطت بجبينها.

رأتها بشكل جانبي، وظهر لها جلياً أنّ الغداء لم يكن غداء عمل. فقد مال كلاهما إلى الأمام ليتبادلا الحديث بحميمية، وسريّة. وفي لحظة معيّنة، وحين ارتسم على وجه العارضة التأثر الواضح، مد ثاندر يده وأمسك باليد النحيفة الساكنة واحتفظ بها بين راحتيه.

إذن، كانت رودا على حق. جلست ميا ساكنة، مشلولة وكأنها أصيبت بجرح قاتل. لقد صدقّته حين قال إن امرأة واحدة تكفيه. وها هي تنظر إليهما، يعتريها شعور بأن دماء حياتها تنزف دون توقف.

خشيت أن يلفت تحديقها انتباههما، ويلتفت ثاندر نحوها، فأجبرت نفسها على التركيز على طعامها، لكن حلقومها كان مطبقاً ولم تتمكن من ابتلاع أيّ قضمة. وبطريقة ما، تمكنت من ابتلاع الطعام وأسكتت معدتها المتمردة.

ودّت لو تهب من مكانها وتهرب، لكن كبرياءها أبقتها على كرسيها. فإن وقفت قد ينتبه ثاندر لوجودها، ولن تتحمل أن يراها ويكتشف مدى تأثرها وتحطمها.

رفعت نظرها نحوهما، فرأتهما يشربان القهوة، وبعد قليل، دفع ثاندر الحساب. وفيما كانا يتوجهان نحو الباب، طأطأت رأسها آملة ألاّ يراها.

ولم يرها. رأته يمرّ ملتفاً بمعطفه الطويل، دون أن يرمقها بنظرة.

تركت ميا وجبتها كما هي، ودفعت حسابها، بعد ما أكدّت للنادل أن الطعام كان جيداً، لكنها لم تكن جائعة، ثم خرجت وهي تشعر بالإعياء والدوار وكأنها في دوامة.

جالت في الشوارع، دون أن تلاحظ زخات المطر التي ما لبثت أن تحوّلت إلى مطر قويّ متواصل، وحاولت أن تطرد صورة الرأسين الداكنين القريبين من بعضهما البعض. لكن كلما طردتها، كلما عادت لتصعقها مجدداً وبقوة أكبر.

وأخيراً، وجدت نفسها في كرومبي سكوير، مبللة حتى العظم ومنهكة. وبعد أن خلعت ملابسها المبللة ونشفت شعرها، حضرت وجبة مسائية وانتظرت عودة ثاندر، يائسة ومتوترة.

كانت الساعة قد قاربت الثامنة حين سمعته يدير مفتاحه في القفل. وبالكاد التفت نحو غرفة الجلوس قبل أن يصعد إلى الغرفة ليبدل ملابسه.

لاحقته ميا بنظراتها، وفكرت في أنه قد يخبرها، إذا ما تصرفت بشكل طبيعي. لكن ماذا سيخبرها؟ «قلت لك إني لن أرافقك لتناول الغداء، ثم خرجت مع عشيقتي؟».

وفيما كان ثاندر يأكل، راحت هي تعبث بمحتويات صحنها، وترفع كوب الكولا إلى شفتيها بين الحين والآخر. فجأة، لاحظت أنها هادئة بشكل غير طبيعي، وراحت تحاول استجماع أفكارها لتجد ما تقوله، ولكنه سبقها وسألها بعدم اكتراث: «كيف كان موعدك لدى طبيب الأسنان؟».

ـ كانت المعاينة جيدة، لا أحتاج لشيء. قال السيد مارشال . . .

وجدت أنها تدخل في تفاصيل غير ضرورية، وأنها تثرثر، فقطعت حديثها.

أراد ثاندر أن يعرف، فسألها: «وماذا فعلت على الغداء؟ هل أكلت في المدينة؟».

- نعم، أنا. . .
تلاقت نظراتهما، فسألها بعناد: «أين ذهبت؟».

تمتمت، وقد أدهشها سؤاله الحاد: «أنا. . . لا أتذكر اسم المكان».

رمقها بنظرة متألقة من وراء أهدابه الكثيفة، السوداء، وقال: «هل اسمه سدريك؟».

ترنّح قلبها، واتهمته قائلة: «لقد رأيتني!».

فقال بصوت حاد: «نعم، رأيتك. لمَ تخفين أنكِ رأيتني؟».

- أنا. . . لم أشأ أن تفكر أني. . .

- تتجسسين عليّ؟ وهل كنت تفعلين؟

فأنكرت: «بالتأكيد لا. قصدت المكان صدفة».

- لما لم تطالبينني بتفسير؟

قالت بصعوبة: «لم أشعر أني أملك الحق بذلك».

- نعم، فمن كان بيته من زجاج لا يرشق الناس بالحجارة.

لجمت غضبها غير المجدي، ورجته قائلة: «أرجوك يا ثاندر، لا أريد التشاجر معك. . .».

سخر منها قائلاً: «يا للزوجة المطيعة!».

كان لسخريته وقع عود الكبريت على بركة نفط فهبت واقفة، ودفعت كرسيها إلى الوراء. لكن، وقبل أن تتمكن من الفرار، مد يده على طولها، وأمسكها من خصرها.

صرخت غاضبة، وهي تحاول إبعاد يده: «دعني!».

عنفّها قائلاً: «اهدئي».

- اذهب إلى الجحيم!

وغصت وهي تضيف: «في المرة القادمة عندما تتناول الغداء مع عشيقتك أرجو أن تدسّ لك السم في الطعام».

ضحك ثاندر عالياً: «نسيت إلى أيّ مدى قد يصل بك الغضب. لكني لا أرى حتى الآن سبب هذه الجلبة التي لا داعي لها. أنت تحبين رجلاً آخر، لهذا لا يمكن أن تغاري. . . وأعدك ألا أهمل واجباتي الزوجية».

كان يعالج المسألة وكأنها لعبة، في حين أنها سببت لها ألماً مدمياً.

ورمته ميا بكلماته التي قالها من قبل: «أنت قلت إنك لا تحتاج إلا لامرأة واحدة راضية».

بدا غير معني بالأمر وهو يقول: «هذا صحيح، لكني لم أقل إنني لا أستطيع احتمال اثنتين».

- ليس لديك اثنتين.

- ألا تظنين أن جاكلين. . .؟

- آه، أنا واثقة من أنها راضية بما يكفي. . .

عضت ميا على شفتها. آه، يا إلهي، إنها تتصرف كامرأة بذيئة، لكن الغضب والبؤس شوكة قاسية انغرست في قلبها.

أضافت: «أعني أني لن أؤدي واجباتي الزوجية طالما أنت تقابلها».

- وهل تظنين أنك قادرة على التحمل.

حاولت ألا تسمح للتأثر بأن يسيطر عليها، فقالت بحنق: «نعم، أنا قادرة على ذلك، أنا. . .».

- فلنخلد إلى النوم وستثبتين لي ذلك لاحقاً.

- لا، لن. . . لا أريد. . .

تجاهل اعتراضاتها، ورفعها بين ذراعيه وحملها إلى غرفة النوم.

صرخت وهي تكاد تختنق: «دعني وشأني! أكرهك! عد إليها. لن أكون تحت تصرفك حين تشاء».

- ستفعلين بالضبط ما أطلبه منك.

- قلت إنك لن تجبرني يوماً، وإنه يحق لي أن أرفض.

فابتعد عنها، وأدار لها ظهره، قائلاً: «قلت هذا قبل أن أعرف ما يجري مع مياشيم».

سألته بتحدٍ: «ماذا قلت عن من كان بيته من زجاج لا يرشق الناس بالحجارة؟».

وفي اليوم التالي، وفي الساعة التاسعة صباحاً، اتصل السيد ونورث ليعلمها بأنه سيستلم مفاتيح المنزل في نهاية الأسبوع المقبل. وقال:

ـ لدي التفاصيل الآن، إذا أردت يمكنني أن أرسلها لك.

شكرته ميا وقالت له إنها ستوفر عليه عناء إرسالها بالبريد، وتمر لاحقاً لتأخذها، وتوجهت إلى المنزل بقلب مثقل، وقد اختفى حماسها وتفاؤلها الماضيين.

أظهرت لها التفاصيل والصور أن تول تريز هو البيت الذي لطالما حلمت به، لا بل أكثر. لكن لا بد أن ثاندر لم يعد يهتم بشراء منزل، والوضع على ما هو عليه. إذا ما اهتم لذلك يوماً.

ذاك المساء، وبعد أن تناولا الطعام بصمت، وبعد تردد عظيم، أعطته ميا الملف. تفحصه دون أن يعلق عليه. فسألته، بعد أن عجزت عن التحمل أكثر: «ما رأيك؟».

ـ ما رأيك أنت؟

لم يصرّح بشيء، بل أعاد الكرة إلى ملعبها.

حدقت ميا في يديها، وقالت له الحقيقة المطلقة: «أظنه رائعاً. إنه المنزل الذي لطالما حلمت بالعيش فيه».

ـ نعم، يبدو منزلاً قديماً جميلاً.

رفع تعليقه معنوياتها قليلاً، حتى أضاف: «لكن، نظراً للظروف الراهنة، لا أرى أننا نحتاج منزلاً آخر».

شحب وجهها وتشنج، ثم تمالكت أعصابها وحضّرت نفسها لسماع الأسوأ، فسألته: «هل تنوي إنهاء زواجنا؟».

نظر ثاندر إليها نظرة باردة، وقال: «ألست أنتِ من تفكر في الأمر؟».

ـ أتعني بسبب جاكلين ماي؟

ـ أعني بسبب مياشيم. أنت تخططين للهرب معه، أليس كذلك؟

كررت ميا كلماته: «أهرب معه؟».

ثم ثارت ثائرتها وصرخت: «طلّقني إذا شئت، فلن أحاول منعك. لكن لا حاجة لأن تضع اللوم عليّ. ومهما قالت لك رودا، فأنا لا أخطط للهرب مع فيليب...».

بدا وجه ثاندر محفوراً من الصخر. وفكرت ميا بيأس أن كلماتها ذهبت

سدى وكأنها تكلم تمثالاً.

رجته قائلة: «أرجوك اسمعني...».

لكن بدا من المستحيل أن تصل إليه، كما لو كانا عند طرفي هاوية وما من جسر بينهما.

صرخت بتأثر: «آه، يا إلهي، ما الفائدة؟ إن كنت فعلاً تظنني فاسقة عديمة الشعور، تحاول سرقة رجل امرأة أخرى، وامرأة حامل بالتحديد، فلا أمل لزواجنا حتى وإن لم تكن جاكلين ماي موجودة!».

أصيبت بدوار لفرط غضبها، وتسارعت خفقات قلبها، وازداد ضغط الدم في أذنيها. وباندفاع مجنون، ركضت خارج المنزل، ونزلت الدرجات ليلفها ليل أيار البارد الرازح تحت قطرات المطر.

لاحظت أن أحد المارة رمقها بنظرة غريبة من خلف مظلته السوداء، فخففت من حدة ركضها، لتسير بخطى سريعة وعلى غير هدى، وهي تبكي وتتنهد.

وقبل أن تقطع مسافة قصيرة، كانت قد تبللت ووصل المطر حتى عظامها، كما التصقت كنزتها بجسمها، والتفت تنورتها الرقيقة على ركبتيها مع كل خطوة. وفكرت بعناد أن ما من شيء على الأرض سيعيدها إلى هناك. ولا يعني ذلك أن ثاندر يريدها أن تعود، بل لعله استراح لأنه تخلص منها.

ابطأت سيارة أجرة، حين رأتها تخرج من كرومبي سكوير، كما لو أن السائق توقّع أن توقفه. لكنها لم تكن تحمل مالاً. وإلى أين تذهب؟ لن تلجأ إلى والدها...

ثم خطرت في بالها جانيت. فهذه الأخيرة ستقرضها أجرة التاكسي وستسمح لها بقضاء الليلة عندها دون أن تطرح الكثير من الأسئلة.

وما إن رفعت ميا يدها، حتى تنبهت لوقع خطىٍ وراءها، فالتفتت بسرعة لترى ثاندر يتوجه نحوها على عجل، وقد غطى وجهه قناع من الغضب البارد.

اندفعت داخل السيارة، وصفقت الباب، وهي تقول بعجلة: «أريد

التوجه إلى الرقم ٢٧، المسليا غاردنز، ماريلبون».

كانت السيارة على وشك الاقلاع حين فُتح الباب بعنف مفاجيء، وأخرجت ميا من السيارة بفظاظة.

أطلق السائق شتيمة، وداس على المكابح مشدوهاً، وقال: «ماذا يجري بحق الجحيم؟».

أجاب ثاندر بنعومة: «مجرد خلاف عائلي».

تردد السائق، الذي كان رجلاً في متوسط العمر، وبدا مهتماً لأمر زبونته المحتملة.

أضاف ثاندر، دون أن يفلت ذراع ميا: «إنها زوجتي».

ثم أكمل بصبر فارغ: «اسألها إن كنت تصدقني».

وسألها السائق الذي بدا من المعجبين بأفلام هوليوود القديمة:

ـ حسناً يا سيدتي، هل هذا الرجل زوجك؟

فكرت ميا للحظة أن تقسم بأنها لم ترَ ثاندر من قبل، لكن أعصابها خانتها فاعترفت: «نعم، إنه زوجي، إنما مازلت أريد الذهاب إلى المسليا...».

قاطعها ثاندر: «لن تذهبي إلى أيّ مكان».

وانتزع خمس جنيهات من محفظته، دون أن يفلتها، ورماها في سيارة الأجرة.

قال السائق معتذراً: «آسف ايتها السيدة. فأنا لا أتدخل في الخلافات العائلية».

وقبل أن تتمكن ميا من المجادلة، أقلعت السيارة وابتعدت.

صرخت، وهي تكافح لتنزع ذراعها من قبضة ثاندر: «دعني! لا يحق لك أن...».

ـ بصفتي زوجك، أتمتع بكافة الحقوق. والآن، كفي عن التصرف كطفلة مصابة بالهستريا وارتدي هذا.

ووجدت نفسها مكسوة بمعطف ثاندر الدافيء، وعائدة ادراجها إلى المنزل.

وما أن وصلا إلى الداخل، حتى حررت نفسها من قبضته، وواجهته متحدية غضبه. بدا وجهها الشاحبِ لماعاً بسبب حبيبات المطر، وشعرها أشعث، أما المعطف فقد غمرها وغطى كماه يديها.

صرخت به: «لا يمكنك أن تجبرني على البقاء معك!».

كان هو أيضاً مشعث الشعر، وقطرات المطر تلمع على شعره الاسود، قميصه الأزرق مبللاً. فجأة ظهر الإرهاق عليه وهو يقول: «هذا صحيح. لكنك قلت منذ قليل إنك لا تفكرين بالهرب مع مياشيم».

ـ ولن أفعل.

ـ لماذا تصرين إذن على الرحيل؟

فقالت بانقباض: «ظننت أني أوضحت لك الأمر. لا أنوي البقاء مع رجل يتباهى بعشيقته... رجل يعتقد أني لست سوى امرأة فاسقة عديمة الإحساس».

وانكسر صوتها، وظهرت الدموع الخائنة في عينيها وانهمرت على خديها، فمسحتها بحنق وصرخت: «لن أبقى!».

سألها بلطف: «هل سيشكل الأمر فرقاً إذا ما قلت لك إني لا أعتبرك عديمة الإحساس وإني لا أعتبرك امرأة فاسقة؟ وإذا قلت لك إني قابلت جاكلين يوم أمس للمرة الاولى منذ زواجنا؟».

أرادت أن تصدّقه، فهمست: «لمَ جعلتني أعتقد...؟».

ـ لماذا قفزت إلى الاستنتاجات مباشرة؟

ـ لأن رودا قالت...

وحين توقّفت ميا فجأة عن الكلام، سألها ثاندر بحدة: «ماذا قالت رودا؟».

ـ ما الفائدة؟ أشك في أن تصدقني إذا ما أخبرتك.

فقال بتجهّم: «جربيني».

رددت له ميا حرفياً الحوار الذي جرى بينهما على الهاتف، بصوت ثابت، خالٍ من أي تأثر.

ـ لهذا تصرفت بطريقة مغايرة لطبيعتك عندما وصلت إلى البيت تلك

الليلة!

وأضاف بعدما أمعن النظر في تعابير وجهها: «من منا تصدقين، أنا أم رودا؟».

رفعت ميا ذقنها ببطء وأجابته: «قد أطرح عليك السؤال نفسه».

فرد بشكل ملتوٍ: «لم تحب أمي رودا يوماً. لطالما قالت إن نسيبتي فتاة كاذبة حقود».

ثم أضاف بحدة: «عليك أن تنزعي هذه الثياب المبللة».

أرادت أن تتأكد، فتمتمت: «ثاندر . . . هل تريد مني أن أبقى؟».

تحركت عضلة في فكّه وكأنه يصّر على أسنانه، لكن وجهه الأسمر لم يفضح أيّ انفعال، باستثناء هذه الحركة الصغيرة الخائنة، وقال: «نعم أريد منك أن تبقي».

ـ لماذا؟

ـ ولماذا برأيك؟

وذبل الأمل المفاجىء الذي تملكها. إنها غبية، لقد فضحت أمرها. كانت تعلم جيداً لما يريد منها أن تبقى، إذ لم تنتهِ عملية تسلّم السلطة في المصرف، وهو يحتاج إلى زوجة بجانبه حتى يستلم مهامه كاملة.

أجابته بفتور: «بسبب وصية والدك».

ظهر تعبير غريب على وجهه، لكنه ما لبث أن اختفى قبل أن تتمكن من تحليله.

ـ هذا ليس السبب الوحيد.

ضمها بفظاظة وعانقها بشوق بدائي وقال: «أريدك. أريدك في حياتي، وفي بيتي».

وفي وقت متأخر من تلك الليلة، خلد ثاندر إلى النوم في حين جفا النوم عيني ميا التي أحسّت بالوحدة والبرد.

لقد انجلت الأمور ظاهرياً، لكن الشكوك بقيت كامنة كسمك القرش.

وفكرت في ما جرى، فأدركت أن ثاندر لم ينكر في الواقع شيئاً. واكتفى بالقول: «هل يشكل الأمر فرقاً إذا ما. . . ؟» ولم يشرح لها لما تناول

طعام الغداء مع صديقته السابقة في حين خلف بموعده معها. كما لم يدن رودا بل ذكر رأيَ أمه فيها.

أمر واحد، ولعله الأمر الوحيد، الذي كانت ميا واثقة منه، هو أنه لا يزال يريدها. وفكرت في أن الغريق يتعلق بقشة، وأن يريدها لأفضل من لا شيء.

وفي الأيام التالية، حاولت جاهدة ألاّ تفكر في جاكلين ماي، وبذلت ما في وسعها لتجاهل الشكوك كلها ولمتابعة حياتها كما لو كانت الأمور على ما يرام.

واعتادت أن تدعو كل ليلة كي يهتم لأمرها بعض الشيء. لعل الهوى هو الشعور الوحيد الذي يعتريه، لكن لم يكن بإمكانها أن تكتشف ذلك، إذ اعتاد أن يتراجع ليختبىء وراء حواجز تبعدها عنه. ولم تكن قادرة على الوصول إليه حتى وهي بين ذراعيه، كما لم تكن قادرة على التواصل معه، بالرغم من الأحاديث المتبادلة بينهما.

أما مصدر قلقها الآخر فهو محاولات فيليب المتكررة للإتصال بها. فقد اعتادت أن تمزق الرسائل دون أن تقرأها ما أن تتعرف إلى خطه، وأن تقفل سماعة الهاتف ما أن تسمع صوته.

أزعجها وأغضبها هذا العناد غير المتوقع، وتساءلت عما إذا كان عليها أن تخبر ثاندر، لكنها قررت ألا تفعل. لقد بدا متعباً مرهقاً، فعملية الإستلام ستتم بعد أيام وتكفيه همومه ومشاغله، لاسيما أنه يبذل جهداً متزايداً لحل المسائل الطارئة. ولا بد أن فيليب سيستسلم إذا ما بقيت تتجاهل محاولاته؟

وجلّ ما استغربته هو إصراره المتزايد، فهذا لا يتماشى وطباعه. هو الذي لطالما كره المشاكل العاطفية وتجنب المواجهات قدر الإمكان.

ومن جهته، لم يأت ثاندر على ذكر فيليب كما لم يطرح على ميا أيّ سؤال، لكنه كان يراقبها باستمرار في المناسبات النادرة التي كان يتواجد فيها في المنزل.

أحست بالذنب والإنزعاج، لكن لم يكن بإمكانها إلاّ أن تصلي لئلا يكتشف ما يجري.

ومنذ تلك المشادة المؤذية، لم يذكر ثاندر المنزل، فشعرت بالسعادة حين فتح الموضوع، صباح يوم الخميس، سائلاً إياها بهدوء: «أما زلت مهتمة برؤية تول تريز؟».

ولم تحاول إخفاء حماسها، بل أجابت: «نعم ما زلت مهتمة كثيراً».

ومضت في عينيه الخضراوين نظرة ارتياح، لكنه ما لبث أن أخفاها بسرعة، وهو يضيف: «أقترح، إذن، أن نلقي عليه نظرة في عطلة نهاية الأسبوع. وإذا ما أعجبنا، سنشتريه».

- آه، نعم!

كانت ميا مقتنعة بشكل غريب وغير منطقي، بأنهما إذا ما عاشا في منزل قديم وجميل كهذا، في منزل عائلي سعيد، ستعود الأمور إلى نصابها. فلفت ذراعيها حول عنقه، وقالت بسعادة: «يبدو الأمر رائعاً. لن أطيق صبراً».

انهارت الحواجز بينهما للحظات، وكادت تقسم أن ثاندر متأثر مثلها، إذ ادناها منه وأخذ يمرغ خده بشعرها. لكنه ما لبث أن ابتعد بعدما قبلها قبلة عاطفية.

تمايل قلبها طرباً، وراحت تتنقل بخطى راقصة في المطبخ. إذا كان يفكر في شراء المنزل، فهذا يعني أنه يتوقع لزواجهما أن يدوم، وأنه يهتم لأمرها ولو قليلاً؟ ربما حين يعود إلى المنزل الليلة...

وأمضت نهارها في الآمال والأحلام، تفكر في مستقبل باهر واعد.

***

١٠ - صراع السعادة

وأخيراً، انتهت عملية تسلّم السلطة، فأقام مديرو دايفسون لازنبي حفلة على شرف ثاندر.

أرادت ميا أن يفخر بها، فارتدت أكثر أثوابها أناقة، فستاناً ضيقاً أبيض بسيطاً، يلفت الأنظار بتفصيله وبجمال قماشته الحريرية. واكتفت من المجوهرات بعقد اللؤلؤ الذي أهداها إياه ثاندر يوم زفافها، فضلاً عن خاتم زواجهما.

كانت جاهزة وفي انتظاره، بعد أن تبرجت بعناية، وصففت شعرها الذهبي على شكل كعكة ناعمة. ولكم أحست بخيبة أمل مُرّة حينما لم ينطق بكلمة واحدة ولم يقبّلها مع أنه تأمّلها مطوّلاً.

وبرغم تعابير وجهه المبهمة التي لا تفصح عن شيء، أدركت أن امراً ما قد حصل وارتفعت الحواجز بينهما مجدداً إلى حد مخيف.

كانت الحفلة، مقامة في شقة فخمة يحتفظ بها المصرف للمناسبات، صغيرة إنما أنيقة، واقتصرت على مديري المصرف وزوجاتهم أو صديقاتهم. وتألقت معظم النساء في أجمل ما عندهن من ثياب، فسّرت لارتدائها أكثر ملابسها فتنة.

وبصفتها زوجة ثاندر، شكّلت محطاً للأنظار، فقد حسدتها النساء، ورمقها الرجال بنظرات إعجاب واحترام.

ارتدى معظم الرجال بذلات رسمية أنيقة، وأحاطت بهم هالة من السلطة والغنى تكاد تكون مرئية. كما ظهر الإحترام جلياً في تعاملهم مع ثاندر الذي تنقل بينهم، مبتسماً ودمثاً، مسيطراً دون جهد. لكن ميا لاحظت

التوتر والإنفعال المختبئين خلف الصورة التي أظهرها.

كانت تقف بين جانيت وجون، وتنظر إلى ثاندر المنهمك في الحديث مع أحد زملائه، حين علّق جون بدهاء: «يبدو ثاندر منزعجاً الليلة».

ـ أظنه منهكا من كثرة العمل.

وافقتها جانيت، وأضافت: «أنت على حق، لا بد أنك شعرت بالوحدة أثناء ساعات عمله الطويلة. وأراهن أنك سعيدة لتسلّمه أخيراً زمام الأمور في المصرف، فيمكنه الآن أن يتواجد في المنزل أكثر».

وعلق جون قائلاً: «من بعض النواحي، من المؤسف أنكما لم تؤجلا زفافكما إلى ما بعد تسلّمه الإدارة، لتتمكنا من تمديد فترة شهر العسل. فلو أجلتماه لما كنت لتبدئي حياتك الزوجية بالوحدة».

اعترضت ميا: «لكن كان عليه أن يتزوج كي يتمكن من تسلم الإدارة؟».

بدا جون متفاجئاً، وسألها: «كيف راودتك هذه الفكرة؟».

ـ قال ثاندر إنه...

وتوقفت ميا عن الكلام، ثم تابعت متعثرة: «ظننت أنه، ووفقاً لشروط وصية والده، عليه أن يتزوج أولاً».

فأجاب جون بتصميم: «لم يخبرني بهذا. واستناداً إلى معلوماتي، لم يكن الرجل العجوز يحب «العلاقات» الحديثة، وكان يأمل أن يرى ابنه متزوجاً. إنما كانت هذه أمنية وليست شرطاً ملزماً. أظنه كان يعرف ثاندر جيداً فلم يحاول أن يفرض شروطاً».

وقفت ميا هادئة، وأفكارها تدور وتدور كدوامة كتل الثلج المتساقطة. لم يكن الأمر منطقياً، أيعقل أن يكون جون مخطئاً؟ لا، بالتأكيد لا؛ فالرجلان صديقان حميمان منذ سنوات.

أمضت ميا بقية الأمسية تفكر في ما قاله جون، بالرغم من أنها بذلت جهداً لتبتسم وتتحدث وتتخالط مع الضيوف الآخرين. وقررت أن تسأل ثاندر عن الحقيقة ما أن يصبحا وحيدين.

لكن القدر عاندها، فاستمرت الحفلة طويلاً، ولم يعودا إلى كرومبي

سكوير إلاّ في وقت متأخر. وهناك، بقي ثاندر في الطابق السفلي ليحضّر شراباً ساخناً وكأنه أدرك نيتها وقرر أن يحبطها.

خلدت ميا إلى النوم، منهكة إنما مصممة على البقاء مستيقظة حتى يلحق بها، لكنها لم تستفق إلا في صباح اليوم التالي بعدما غادر المنزل قاصداً المصرف.

كانت الساعة قد قاربت العاشرة، حين أنهت حمامها وارتدت ملابسها، فحضّرت قهوتها وفطوراً خفيفاً تناولته على عجل، لتقصد بعدها مكتب دوغلاس ونورث. وبعد أن أصبحت مفاتيح تول تريز في حوزتها، أمضت بقية يومها في انتظار عودة ثاندر باهتياج وفروغ صبر.

وبينما كانت تحضر عشاء مميزاً، اتصل بها ليعلمها أنه سيتأخر. أملت مع انتهاء عملية تسلّمه السلطة أن يعود إلى المنزل في وقت أبكر، فابتلعت خيبة أملها قدر الإمكان وسألته: «هل ستتأخر كثيراً؟ هل أحضر لك الطعام لحين عودتك؟».

ـ لا... سآكل في الخارج.

بدا صوته هادئاً وبارداً إلى حد الفظاظة.

وكادت تسأله مع من سيتعشى لكنها تمكنت، بطريقة ما، من لجم لسانها. إذا كان برفقة جاكلين ماي، فهي لا تريد أن تعرف كاذبة! أرادت أن تعرف بالتأكيد، لكنه لن يعترف بذلك.

أعادت قطعة اللحمة إلى الثلاجة، وحضّرت لنفسها طبق عجة، لكن حين وضعته أمامها، تبين لها أنها فقدت شهيتها.

بذلت جهدها لتستغرق في مطالعة كتاب جديد، لكنها عجزت عن التركيز عليه. وتراءت لها على الكتاب صورة يد ثاندر، القوية، تمسك بيد جاكلين ماي النحيفة والهادئة، وصورة وجهين منكبين على بعضهما البعض، ورأسين أسودين أحدهما قرب الآخر.

رجع ثاندر إلى البيت بعد الساعة الحادية عشرة. أرادت أن تهب وتهرع إليه، لتسأله أين كان، لكنها أجبرت نفسها على البقاء هادئة في مكانها، وناشدت نفسها أن تتصرف بشكل طبيعي، وليس كزوجة مشككة غيورة.

توجه نحو المطبخ وسألها: «أتريدين شيئاً ما؟».

وحين هزت رأسها بالنفي، سكب لنفسه كوباً من عصير الفريز الذي أخذ يحتسيه على عجل قبل أن يتوجه إلى الطابق العلوي.

وبرغم من طبعه العنيد والمرعب في أوجه عدة، كان هادىء المزاج عادة ويسهل العيش معه. وهو من الرجال الذين يمكنهم أن يحرضوا على الصخب صباحاً أو مساءً، ويصفروا وهم يحلقون ذقونهم، ولكنه الليلة بدا هادئاً ومتحفظاً وفي عينيه كآبة لم ترها من قبل.

حاولت ميا ألا تتصرف بامتعاض، فكبحت جماح لسانها حتى استلقيا في السرير. عندها، بذلت جهدها لتستعيد حماسها وفرحها السابقين، وأخبرته عن حصولها على مفاتيح المنزل.

وعندما أدركت أنه لا يصغي إليها كثيراً، ولم تعد قادرة على التحمل، سألته: «ما الأمر؟ ثاندر؟ ما الخطب؟».

ـ وهل يجب أن يكون هناك خطب ما؟

لكنها كانت واثقة من أن شيئاً ما قد حصل؛ شيء فظيع.

كان مستلقياً في السرير بعيداً عنها، وقد وضع يديه تحت رأسه. علمت أنه متوتر كوتر قوس مشدود، وأدركت أن لا فائدة من الكلمات، فتململت لتلتصق به، فيشكلان معاً جسماً واحداً. راحت تمرر يدها على كتفيه، وترسم بأصابعها انحناءاتهما، فأحست بتجاوبه معها، وقالت: «إذا لم تشأ أن تكلمني، فضمني إلى صدرك».

قال لها بحدة: «لمَ لا؟ فأنت ما زلت زوجتي».

وقبل أن تتمكن من التفكير في اختياره لألفاظه، التفت نحوها وأخذها بين ذراعيه بقسوة لم تعهدها فيه من قبل، ودون اكتراث كما لو كان يقوم بواجبه ليس إلاّ.

وإن كان هناك جانب مظلم في شخصيته، فقد رأته الآن، وكان عليها أن تخاف منه. لكنها، بدلاً من ذلك، حاولت أن تثير مشاعره وأن تعيده إليها. إنه رجلها، وزوجها، وحبيبها.

إنه فعلاً حبيبها الغالي! ما أشد ما كانت غبية، غبية للغاية، يوم اعتقدت

أنها تحب فيليب! فما أحست به نحوه أشبه بدفء الشمعة مقارنة مع هذا الاتون المستعر.

وبعد لحظات، غمغم ثاندر: «يا إلهي! أنا أسف لم أقصد أن أؤذيك، يا حبيبة قلبي».

حبست ميا أنفاسها ثم قالت: «لم تؤذني . . . لم تفعل».

فبعد أن ناداها «حبيبة قلبي» بتلك النبرة أضحت مستعدة لأن تُسلخ حية.

وحين ابتعد عنها، لم تستسلم بل دنت منه أكثر، يشجعها تحبه، وتوقها لحبه، فرجته قائلة: «ثاندر، أرجوك كلمني. قل لي إنك تحبني».

وفي العتمة النسبية، رأت الألم يرتسم على وجهه قبل أن يدير لها ظهره. فرجته مجدداً: «لا تبعدني! قل لي، على الأقل، ما الخطب».

ظنت أنه سيقصيها عنه مجدداً، حين قال بسأم: «حسناً سأخبرك. أدركت الآن أني ارتكبت خطأ حين تزوجتك».

أحست ببرودة قارصة بالرغم من حرارة الجو، وبقضبان حديدية تطبق على صدرها، وتعتصر فؤادها وتقطع أنفاسها. همست: «خطأ؟ أتعني أنه كان عليك أن تتزوج جاكلين ماي؟».

ـ بالتأكيد لا. قلت لك من قبل، جاكلين ليست من النساء اللواتي يتزوجن.

أعمتها غيرة أمَرّ من العلقم وجعلتها تصرخ: «أهي من النوع الذي يفضّل الرجال المتزوّجين؟».

لكنها عادت وخجلت من نفسها على الفور، وتمتمت: «أنا آسفة. ما كان عليّ أن أقول ما قلته».

ـ لا ما كان عليك أن تفعلي.

جاءت نبرته حازمة، فعضت ميا على شفتها، ثم سألته، والكلمات تخرج بقوة من فمها: «هل كنت معها الليلة؟».

أجاب باستغراب: «لا. لم أرها منذ تناولنا طعام الغداء معاً ذاك اليوم».

كانت واثقة من أنه نطق بالحقيقة. لكن، وبما أن الفرصة قد سنحت الآن، أرادت جواباً على السؤال الذي عذّبها لأيام: «ثاندر لماذا خرجت معها لتناول الغداء؟».

أجاب على الفور: «أحسست أني أدين لها بذلك من أجل الأيام الخوالي. اتصلت بي وهي تبكي، وقالت إنها تريد أن تراني. ومع أننا كنا متفقين منذ البداية، على ألا نصعّب الأمور. عندما نفترق وعلى ألاّ يلقي أحدنا بالتهم في وجه الآخر، لكن يبدو أنها لم تكن مستعدة بعد لفقدي. لقد عادت إلى لندن على أمل أن تعود علاقتنا كما كانت، مما يظهر أنها لم تكن تعرفني جيداً وعندما قلت لها إن كل ما كان بيننا قد انتهى، إلى الأبد... غضبت وحزنت. ولو لم تكن حزينة، لعرفتك عليها».

اكتسحتها موجة من الإرتياح، كادت تفقدها وعيها لكنها سألته: «لمَ قلت إذن إنك ارتكبت خطأ...؟».

فاستقام في جلسته بشكل مفاجىء، وقال: «ارتكبت خطأ؛ ما كان عليّ أن أجبرك على الزواج بي».

انتابها خوف شديد، وحاجة ملحّة لرؤية وجهه، فاضاءت النور.

ساد الصمت للحظات، تابع بعدها كلامه بصوت سويّ: «كنت على وشك مغادرة المكتب في الأمس حين دخلت إليه رودا. كانت في حالة هستيرية تقريباً. قالت إنك ربحت، وإن مياشيم تركها بعدما قال لها إنه يريدك أنتِ. وألغى الزفاف نهائياً».

ـ لكن...

ـ قررت أن الأوان قد آن كي أحلّ الأمور معه وللمرة الأخيرة.

ارتجفت ميا لا إرادياً، فاعترف ثاندر، بعدما شعر ببردة فعلها: «نعم، كانت ردة فعلي الأولى همجية، وهي أن أدق عنقه».

وبلهجة شبه ساخرة، أضاف: «لكني قررت أن أحاول وأن أعالج الأمور بتمدن، لهذا اتصلت به اليوم واقترحت عليه أن نتناول العشاء معاً. ظننت أنه لن يتحلى بالجرأة اللازمة ليقابلني وجهاً لوجه، لكني تفاجأت حين وافق على موافاتي إلى المريديان».

ـ آه، ثاندر، لم... لم...؟

أكد لها ثاندر: «لم ألمسه».

ثم تابع يقول بسخرية لاذعة: «لا داعي للقلق عليه وكأنك أم تحمي أطفالها من الخطر!».

كانت فعلاً قلقة، لكن ليس على فيليب، بل من المضاعفات المحتملة إذا ما فقد ثاندر أعصابه.

وبعد لحظات صمت، أكمل ثاندر:

ـ اخترت مكاناً عاماً كي لا تساورني الرغبة في قتله، مع أنني خططت لإرهابه. وعندما وصلت إلى هناك، كان في انتظاري فتحدثنا، اعترف بحصول مشكلة مروّعة وبأنه قطع علاقته نهائياً بروداً.

رددت ميا كلامه، ببلاهة: «قطع علاقته بها؟ كيف يقطع علاقته بها وهي تحمل طفله؟».

ـ هذا ما أراد أن يكلمك عنه.

اعترضت ميا بضعف: «لا أرى ما الداعي لمكالمتي؟».

ـ لأنك المرأة التي يحبها حقاً ويحتاج إليها... هذه كلماته وليست كلماتي. أقرّ أنه لم يتمكن من الإتصال بك، وأنك رفضت رؤيته أو الإستماع إليه، لكنه ما زال واثقاً من أنك تحبينه.

ـ لكني لا...

وتابع ثاندر، وكأنه لم يسمعها: «أخبرني كم صدمت حين علمت أنه وروداً كانا عشيقين، وهو يعتقد أنك تزوجتني لتنتقمي منه. كما أنه مقتنع بأنك تفضلين إفساد حياتك وحياته على أن تخونيني».

تجاهل ثاندر محاولة ميا لمقاطعته، وأضاف: «من جهة، وجدت نفسي معجباً به، فقد أكمل النقاش حتى النهاية بالرغم من خوفه وهلعه. وهو يظن أنك لن تأخذي المبادرة لتركي، حتى وإن لم تكوني سعيدة معي، لهذا يريد مني أن أتخلى أنا عنك. وهو يعتمد على مسألة أن كبريائي لن تسمح لي بإجبار امرأة لا تحبني على البقاء معي».

ـ ثاندر. أنا...

وهبَّ من مكانه بحركة رشيقة وجلس عند طرف السرير وكأنه قلق إلى حد يمنعه من البقاء هادئاً لمدة أطول. أدار لها ظهره، فرأت التوتر في عنقه وكتفيه وعلى طول ظهره.

قال والكلمات تخرج من فمه بصعوبة: «لهذا، أنا مستعد لمنحك حريتك. اذهبي إليه إذا ما أردت ذلك، وسأحاول أن أساعدك لتحصلي إلى الطلاق في أسرع وقت ممكن».

فغمغمت ميا: «أنا... أنا لا أريد الطلاق».

أخذ ثاندر نفساً عميقاً جافاً، وقال: «أنت تحبينه، لطالما رددت ذلك. وفي ذاك اليوم، في الحديقة، خفت من أن أؤذيه. حسناً، إنه محق، قررت أنني لا أريد زوجة تحب رجلاً آخر وتبقي معي بدافع الإخلاص والوفاء فقط».

ـ لكن دافعي ليس الإخلاص وحده! أنا...

وتوقفت ميا عن الكلام فجأة، إذ لم يكن الوقت مناسباً لإقناعه بأنها تحبه، خاصة وهو بهذا المزاج.

ثم تابع يقول بقسوة: «كما أن السببين اللذين دفعاني للزواج بك، لم يعودا موجودين. فمهما حصل، لا يمكنني إجبار مياشيم على الزواج برودا، وها أنا قد تسلمت زمام الأمور في المصرف فلم أعد أحتاج لزوجة».

جاءت كلماته لاذعة، وأدركت ميا أنه اختارها لتترك هذا الأثر. فغامرت، وقالت له بجرأة: «لم تحتج يوماً لزوجة لهذا السبب. لقد كذبت حين قلت إنك مضطر للزواج».

عندها، أدار وجهه نحوها وسألها: «ولما قد أفعل ذلك؟».

فأعلنت، وهي تكافح دفاعاً عن سعادتها: «لأني لم أكن لأصدق أنك سترتبط بي من أجل رودا. أردت الزواج بي، لكنك احتجت لسبب ملح كي تصون كبرياءك. ولو أن ما شعرت به نحوي هو مجرد انجذاب جسدي لأردتني عشيقة لك فقط».

سمحت لها نظرة سريعة برؤية وجهه الخالي من أيّ تعبير، فأكملت كلامها، بثقة أقل: «لم ترد الإعتراف بأنك تهتم لأمري لأنك ظننت أني

أحب فيليب».

أنكر ثاندر باقتضاب: «هنا أنت مخطئة. في تلك المرحلة، لم أصدق أن ما تشعرين به نحو مياشيم هو الحب، ثم أخبرتني عن طفولتك، وفكرت أني ملكت الجواب. لقد خدعت نفسك واعتقدت أنك تحبينه، لأنك كنت بحاجة لأن تحبي وتُحبّي».

ثم أضاف بصوت سويّ: «ولما شارف شهر عسلنا على الإنتهاء أدركت أني كنت مخطئاً».

سكت، فقالت بهدوء: «لكنك لم تكن مخطئاً، فما قلته هو الواقع. ما شعرت به نحو فيليب كان أشبه بالإمتنان. لم أحبه في ذاك الوقت، ولا أحبه الآن، ولا أريد الطلاق».

ـ كان مياشيم على حق، أنت فعلاً وفية.

فصرخت: «الوفاء، ما هذا الهراء!».

عندها قال ثاندر بملل، ووجهه الأسمر لا يفصح عن أيّ انفعال: «أدرك أني حين خلصت أباك من ورطته، كما قلت، جعلتك تشعرين بأنك مدينة لي، مما يجعل من الصعب عليك تركي من أجل مياشيم...».

ازداد استياء ميا، فثارت ثائرتها وقالت: «لا علاقة لهذا الأمر بشعوري بأني مدينة لك. قلت لك إني لا أريد إنهاء زواجنا».

وأضافت يائسة: «أنا لا أفهمك. تتكلم وكأنك تريد مني أن أرحل».

فقال ببرودة: «نعم أريد منك أن ترحلي».

وللحظة، اهتزت ثقتها، لكنها ما لبث أن عادت بقوة أكبر: «هذا لأنك عنيد وترفض الإستماع إلى ما أحاول قوله. لا أريد أن أتركك. حتى إذا ما رميتني خارجاً، أتظن أني سألجأ إليه ورودا حامل؟».

هزّ ثاندر رأسه، وقد أضحت عيناه الخضراوان أقسى، وفمه أرفع وكأنه خط واحد، ثم قال: «أنت لا تعرفين الوقائع كلها، أقترح أن تتحدثي إلى مياشيم قبل أن تتخذي قرارك النهائي».

وما أن أنهى حديثه حتى أصلح من هندامه وتوجّه نحو الباب، مغلقاً إياه خلفه بحزم.

فكرت ميا للحظة، في اللحاق به، لكن ما الجدوى من ذلك؟ فإقناعه أشبه بمحاولة دفع قمة أفريست بيد واحدة.

أطفأت الأضواء، واستلقت في سريرها، مغمضة عينيها بإحكام. لكن الدموع الحارة شقت طريقها عبر جفنيها المطبقين وانهمرت على وجنتيها في سيل صامت. بكت طويلاً شاعرة بحاجة للراحة التي تنعم بها الدموع.

تقلبت وتلوت وحيدة في الفراش الكبير، واستيقظت مراراً في ليلة بدت وكأنها ستستمر إلى الأبد. وكانت كلما غطت في النوم، حلمت أن ثاندر نبذها بالرغم من حججها كلها. وكاد الصبح ينبلج، حين غرقت أخيراً في سبات عميق.

فتحت عينيها المثقلتين لتجد أن الساعة قاربت السابعة وبدا المنزل هادئاً ومهجوراً.

استحمت وارتدت تنورة عاجية اللون وقميصاً مناسباً قبل أن تنزل إلى الأسفل قلقة. فتحت باب غرفة الجلوس، وألقت نظرة إلى الداخل. كانت النار مشتعلة، كالعادة، في المدفأة، لكن الغرفة خالية.

وجدت ثاندر في المطبخ، مرتدياً سروالاً غير رسمي وقميصاً مفتوحاً، وجالساً إلى مائدة الفطور، يحدق في الفراغ. رأت أمامه فنجان قهوة بارد، وجريدة نهار السبت التي لا تزال مطوية.

دنت منه بصمت وبخطى خفيفة، فتفاجأت برؤية نظرة أسى واضحة على وجهه القاسي.

عضت على شفتها، وأوصلت آلة القهوة بالقابس الكهربائي وأعدّت لنفسها فنجاناً. ولم ينطق أحدهما بكلمة واحدة.

كانت ميا قد سكبت القهوة، وراحت تشربها حين رنّ جرس الهاتف. رفع ثاندر رأسه ونظر إليها، فأخذت ميا السماعة، مستسلمة لقدرها.

ـ ميا؟

كان صوت فيليب كما توقعت. وسمعته يقول: «عزيزتي، يجب أن أتحدث إليك؟ هلاّ تناولت طعام الغداء معي؟».

لم تشأ أن تتحدث إليه، لكنها تذكرت إصرار ثاندر على ذلك، فوافقت

بفظاظة، وسألته: «حسناً، أين؟».

بدا متوتراً وقلقاً حين قال: «في كليفلاند. سأنتظرك في المطعم».

ـ حسناً جداً... سأكون هناك بعد نصف ساعة.

بعد ذلك، أقفلت السماعة وقالت: «كان فيليب. يريد مني أن أتناول طعام الغداء معه».

فاكتفى ثاندر بأن يقول: «نعم».

نظرة الألم المبرح في عينيه جعلت قلبها يعتصر وكأن قبضة عملاقة أمسكت به.

قالت له: «إذا كنت تفضّل ألاّ أذهب؟».

هزّ رأسه وأجاب: «أريد منك أن تذهبي وأن تتحدثي إليه، لتقرري بعد ذلك».

وتحرك من مكانه ليقف قرب النافذة متأملاً الحديقة المبللة، حيث غطّ طائر أسود اللون وراح يشدو لحناً شجياً. قال دون أن يستدير ليواجهها: «إذا قررت البقاء معه، أفضّل ألا تعودي إلى هنا. وسأعمل على إرسال حاجياتك إلى حيثما تشائين».

فشرعت تقول بتردد: «ثاندر، إن كنت تحبني...».

فأنكر بصوت أجش: «أنا لا أحبك».

ارتسم على وجهها عزم رقيق، فرفعت ذقنها وتوجهت إلى الطابق العلوي لتحضر حقيبتها وأغراضها لتخرج. ودفعتها نزوة ما إلى أخذ قلادتها التي تحمل التنين عن طاولة الزينة فوضعتها حول عنقها ثم غادرت المنزل دون أن تتكلم معه.

كان فيليب بانتظارها في زاوية من مطعم كليفلاند المترف، وهبّ واقفاً لدى اقترابها... كان يرتدي بذلة زرقاء وقميصاً وربطة عنق مناسبين، وكان حذاؤه ملمعاً وشعره مسرحاً بعناية مفرطة.

ـ عزيزتي...

أمسك بيديها الاثنتين براحة جلية، وقال: «لم أكن واثقاً من أنك ستأتين...».

ومع أنه لم يمر على لقائهما الأخير سوى أسابيع، إلاّ أنه بدا لها أكبر سناً. أما عيناه الزرقاوان الشاحبتان فافتقرتا إلى الشرارة والحيوية، وحين جلست، احتلّ فيليب المقعد قبالتها وطلب بعض العصير لكليهما. وفيما راح يدرس قائمة الطعام، تأملته بتجرّد، ورأت للمرة الاولى رسم فمه الفظ، وضعف ذقنه. كما اكتشفت أنّ وجهه كله يفتقر للقوة، لكنه، وبطريقة ما، تمكن من مواجهة ثاندر بكامل هوله.

رفع فيليب نظره إليها، وسألها: «ماذا تودين أن تأكلي؟».

أجابت: «لا أدري. أيّ شيء تطلبه».

طلب الطعام وقد أربكه للغاية أسلوبها في الكلام.

ارتشفا العصير دون أن يتكلما، حتى وصل طبق الطعام الذي طلبه.. عندها، قالت ميا، المتلهفة لإنهاء الموضوع: «فهمت أنك تحدثت إلى ثاندر؟».

ـ هل أخبرك إذن؟

ـ نعم أخبرني.

ثم أضافت متسائلة: «لقد جازفت كثيراً حين قابلته».

ـ لا يمكنه أن يضربني في مكان عام كهذا. كما أن الأمر يستحق المجازفة. هل هو مستعد للتخلي عنك من دون إثارة جلبة؟

فأجابت بتعالٍ: «إنه مستعد لتركي إذا ما أردت أنا ذلك».

عندها، قال فيليب، بابتسامة رضا: «كنت واثقاً من أن كبرياءه لن تسمح له بإجبار امرأة لا تريده على البقاء معه».

ـ لكني أريده.

صعقته إجابتها للحظة، قال بعدها بلهجة تكاد تكون اتهامية: «أنت تحبينني».

عبثت ميا بالسمكة الدسمة بأسنان شوكتها، واعترفت ببطء: «هذا ما كنت أعتقده».

ـ أنتِ ما زلت تحبينني...

بدا فيليب نكداً ومتذمراً، وهو يضيف: «لكنك ترفضين الإعتراف

بذلك لأنك متزوجة بدايفسون. لطالما كنت دقيقة وصارمة، فلم تتمادي يوماً في علاقتك معي بسبب رودا».

عضت ميا على لسانها وقالت: «لماذا قلت لثاندر إنك ألغيت الزفاف؟».

ـ لأن هذا ما حصل. فمنذ تزوجتِ والأمور تتحول من سيء إلى أسوأ. تعتقد رودا أنك تزوجت دايفسون لتغطي علاقتنا وحسب. بعد ذلك، تشاجرنا شجاراً عنيفاً. لقد طفح بي الكيل من غيرتها، و...

ـ لكنك لا تستطيع أن تتركها وهي تحمل طفلك!

فقال فيليب: «هذا هو بيت القصيد. فهي لا تحمل طفلي».

رددت ميا كلماته: «ألا تحمل طفلك؟ متى قالت لك ذلك؟».

ـ لم تقل لي.

ـ وكيف عرفت؟

لم يتوقع سؤالها، فاحمر وجهه الوسيم، وتمتم: «كيف برأيك؟».

بدا وكأنه يشعر بالذنب، فكادت ميا تبتسم. وبعد قليل، سألته: «ماذا جرى لها؟».

ـ لم يحدث لها شيئاً، ولم تكن يوماً حامل. لقد كذبت علي وهذا بدّل كل شيء.

فكرت ميا في أن هذا لا يبدل واقع أن فيليب ورودا كانا عشيقين. فقالت جهاراً: «كيف يمكنك أن تكون واثقاً من أنها كذبت عليك؟ ربما وقع خطأ حقيقي».

أنكر باختصار: «لم يكن هناك خطأ ما. فعندما طالبتها بالحقيقة، اعترفت بأنها اختلقت هذه الكذبة حين اكتشفت أمر علاقتنا. قالت إنها خافت أن أفسخ الخطوبة، ففعلت ما فعلته لتحتفظ بي...».

ـ لكني لا أرى كيف...

ـ على ما يبدو كانت تنوي أن تحمل في أسرع وقت ممكن...

وأضاف، وقد بدا مجروحاً: «حتى دايفسون اعترف بأنها خدعة رخيصة».

إذن، هذا ما عناه ثاندر حين قال إن عليها أن تعرف الحقائق كلها. لكن معرفتها لم تغير مشاعرها. لقد توقع منها، على ما يبدو، أن تلوم نسيبته بقسوة ومرارة. لكن ميا أحست أنها تدين بالكثير لرودا، وإن كانت لا تستطيع أن تغفر للمرأة الأخرى ما فعلته.

تنهدت ميا بعد أن ارتشفت بعض العصير. ومرت دقائق، قبل أن تنتبه إلى أن فيليب يحدق فيها، وكأنه يتوقع منها ردة فعل أعنف.

ووجدت نفسها تبتسم لذهوله وارتباكه فاشتكى بمرارة: «لا أرى ما يضحك في أن يقع المرء ضحية كذبة وأن يصبح موضوع سخرية. فلو لم تكتشف علاقتنا...».

قاطعته ميا معتذرة، ثم أضافت بسرعة: «كيف اكتشفت الأمر، ألديك فكرة عن ذلك؟».

قال: «هل تذكرين السيدة همسلي...؟».

تذكرت تلك المرأة العبوس، المتوسطة العمر التي تعمل كسكرتيرة لمدير التصدير في رايفيلد، فأومأت برأسها.

ـ يبدو أنّ لديها شقيقة أرملة، كبيرة في السن، تزورها مرتين في الأسبوع، وفي طريقها، تمر قرب شقتك، ولاحظت، أكثر من مرة، سيارتي مركونة قربها، كما رأتني في إحدى المرات خارجاً من شقتك وهي ليست امرأة ثرثارة وإلا لعرفت الشركة كلها. لكنها أخبرت أختها التي ذكرت الخبر لابنتها التي تعمل في صالون التجميل الذي تقصده رودا...

مرر فيليب يده في شعره، وتابع قائلاً: «غضبتُ حين أدركت أنها سخرت مني، فقلت لها إن كل شيء قد انتهى بيننا. عندها، ثارت ثائرتها وهددتني بأنني سأضطر للاستجداء بعد شهر إذا ما تركتها لكنها اخطأت في حساباتها هذه المرة. فقد صدم أبوها حين علم بحيلتها ورفض عملية الابتزاز التي حاولت فرضها، لهذا، ما زال لديّ عملي...».

ثم مد يده عبر الطاولة، وأمسك بيد ميا قائلاً: «عزيزتي... تعلمين كم أحبك. اتركي دايفسون وسأنتظرك حتى تحصلي على الطلاق».

ـ لا أريد أن أتركه، ولا أريد الطلاق.

قطبَ فيليب جبينه وقال: «أعترف أني لست غنياً مثله، لكني لم أظنك يوماً تهتمين بمسألة المال».

ـ لا علاقة للأمر بالمال. فعندما قطعت عهد زواجي في الكنيسة، نويت أن أحافظ عليه.

وسحبت يدها من بين يديه.

اعترض قائلاً: «لكن الأمور تغيرت، وأنا حر الآن».

ـ وأنا لست حرة.

ـ لا يمكنك البقاء معه بدافع الوفاء والإخلاص فقط.

ـ ليست المسألة مسألة وفاء. سأبقى معه لأنه زوجي ولأني أحبه.

ـ لا أصدق ذلك. وهل هو يحبك؟ لعله يريدك. لكنه ما كان ليتركك بهذه السهولة لو كان يحبك؟.

أجابت ميا بثقة كاملة: «إنه يحبني. يحبني بما يكفي ليضحي بسعادته من أجل سعادتي».

بدا فيليب كفتى متباكٍ، وهو يقول: «لكنك سعادتي أنا، ولطالما قلتِ إنك تحبينني».

تنهدت ميا، وقالت بلطف: «لو لم نلتقِ، لكنت الآن سعيداً مع رودا. أنا آسفة، آسفة للغاية، لأنني أفسدت الأمور».

تركت وجبتها كما هي، ووقفت ثم أمسكت بحقيبتها وهي تقول: «أرجو أن تنساني وتعود لرودا. لا بدّ أنها تحبك كثيراً، وإلا لما حاولت جهدها الاحتفاظ بك. هيا، تصالح معها».

بدا فيليب متفاجئاً، لا بل مصدوماً من كلماتها.

أضافت: «ستنجح الأمور إذا ما أردت لها ذلك. حاول وكن سعيداً. فأنا سأكون كذلك».

وخرجت من الفندق مسرعة، دون أن تلتفت إلى الخلف. كان المطر قد توقف، والشمس تتسلى بالظهور حيناً والإحتجاب أحياناً خلف الغيوم، حتى تقرر ما إذا كانت ستسطع.

أشارت إلى سيارة أجرة، فتوقفت وأحست بأنها لن تصل بالسرعة

الكافية، فطلبت من السائق أن يسرع. وعندما وصلت إلى كرومبي سكوير، دفعت له أجره، وأعطته بقشيشاً، قبل أن تتوجه مسرعة نحو السلالم.

كان الصمت مطبقاً، فخيّل لها أن ثاندر قد خرج. لكنها، وعبر باب المطبخ المشقوق، رأته واقفاً قرب النافذة، وكأنه لم يتحرك منذ غادرت المنزل.

سمع صوت الباب يقفل، فاستدار ببطء. توجهت نحوه، ووضعت ذراعيها حول عنقه، ثم وقفت على رؤوس أصابعها لتطبع قبلة حارة على خده. وللحظات بدت وكأنها ستستمر إلى الأبد، وقف جامداً وكأنه تمثال حجري، ثم أطبقت عليها ذراعيه، وعانقها بشوق وحاجة أعمق من أن يعبر عنهما بالكلمات.

وقفا طويلاً متعانقين بصمت، وهما يرتعدان من فرط تأثرهما... كانت تسند رأسها إلى صدره هو يمرغ أنفه في شعرها الحريري.

وبعد حين، ابتعدت عنه قليلاً لترى وجهه، ثم لمست وجنته وهي تبتسم.

في البدء، لم يتكلم كما لو أنه خاف أن يخونه صوته. وبعد قليل، أمسك بيدها وقبّل راحتها، وقال بنعومة: «حسناً إذا ما قررت البقاء معي، فهناك منزل علينا أن نراه وأن تقرر بشأنه».

تول تريز، بجدرانه التي تغطيها النباتات المتعرشة، ونوافذه ذات العمد، هو جلّ ما كانت تحلم به ميا. لقد جمع الضوء الناعم، وتغريد الطيور، وعطر أيار، وعكس جو الرضا والإطمئنان الذي تتميز به المنازل السعيدة.

وتلك الليلة، وفيما كانت مستلقية في سريرها قرب ثاندر، تنهدت ميا وقالت: «أليس تول تريز أجمل مكان رأيته؟ إذا ما طلينا المطبخ باللونين الأبيض والوردي و...».

أوقف سيل كلماتها بقبلة، لكنها ما لبثت أن سألته حالمة: «أتظن أنه بإمكاننا تعليق أرجوحة في شجرة التفاح الكبيرة المعمرة تلك، ليلعب بها أطفالنا في ما بعد...؟».

قال لها بلهجة تتراوح بين الشغف والمزاح: «يا امرأة، إذا لم تهتمي بالأمور الأساسية فلن ننجب أطفالاً أبداً؟».

وفي وقت لاحق، خطرت في بالها فكرة، وهي مستلقية بين ذراعيه، فقالت له: «ثاندر... هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟».

فهمس: «اسألي».

- هل كنت على علاقة برودا؟

أجاب دون تردد: «يا إلهي لا، ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة؟».

- ذكر أبي مرة... أنها كانت تحبك كثيراً.

فأومأ ثاندر، وقال: «لطالما شعرت بالذنب حيال هذا الموضوع، مع أنني لم أشجعها قط... أنت المرأة الوحيدة التي أردت حبها».

أدارت رأسها لتطبع قبلة على ذقنه، واعترفت له: «لم أستطع أن أقول لك هذا ليلة أمس، لأني خفت ألا تصدقني، لكني أحبك. أنت في قلبي، وعقلي، ودمي. وإن افترقت عنك، فستبقى في قلبي ما دام في جسمي عرق ينبض».

ضمها إليه أكثر، لكنها تابعت تقول: «لم أدرك ذلك على الفور، ثم لم أستطع أن أعترف لك بسبب...».

- بسبب ما قلته عن أهدافي الثلاثة؟

أومأت برأسها، وقالت: «ظننت أني سأكون بأمان إذا ما تركتك تعتقد أنني ما زلت أحب فيليب».

- ما كان عليّ أن أستعجل الأمور كما فعلت. لكني منذ رأيتك للمرة الاولى، أردتك أن تكوني لي قلباً وقالباً.

- بالرغم من فكرتك السيئة عني.

- في البدء فقط. صدمت حين اكتشفت أمر علاقتك بمياشيم، كما غضبت حين فكرت في أنك لست بريئة كما تبدين. أتعلمين، لقد انتظرت طوال حياتي امرأة مثلك. فهل أنت راضية؟

كانت تفكر في أنه لم يعلن لها حبه بعد حين أدناها منه ووضع رأسها على كتفه. ولم يعد الأمر مهماً بالنسبة لها، فقد أدركت أنه يحبها،

وتملكتها السعادة لذلك. لكن...

ـ ثاندر... لم تقل لي يوماً أنك تحبني.

قبلها بحنان وشغف في آن معاً، ثم قال: «تعلمين حقيقة شعوري نحوك».

فجمعت قبضة يدها الصغيرة وراحت تضربه وهي تقول: «لم تقلها لي بعد».

أحسّ بأثر خيبة أمل في صوتها، فقبلها مجدداً ووعدها: «أفكر في أن أعود بك قريباً إلى هونغ كونغ لنلعب بالطائرة الهوائية».

***

www.elromancia.com
مرمورية